مختصر سيرة الرسول ﷺ

محفوظة جميع الحقوق

الطبعة الثانية

١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م

تنسيق وإخراج:	حفظ الله أحمد أحمد عقيل

التنفيذ الطباعي

دار الإمام زيد بن علي للطباعة والنشر

تلفون (٧٧١٢٢٣٥٧٨)

مختصر سيرة الرسول ﷺ

القاضي العلامة

صلاح بن أحمد فليتة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقريض

إليـــك مختـــصر يهـــديك للفكـــر

يعطيـك مـا تـشتهي مـن طيـب الخـبر

فيـــه العجائـــب والألبـــاب مذعنـــة

بـــذكر طـــه حبيـــب الله والبـــشر

وخـــــاتم المرســـــلين الله أيـــــده

وفـضله قـد أتـى في سـائر الـسور

فـأعكف عليـه تـرى حـسناً لـسيرته

وأدرســه دومــاً عــسى يأتيـك بـالعبر

صـــلى الإلـــه علـــى طـــه وعِترتـــه

ما الفلـكُ يجـري بنـور الـشمس والقمـر

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وآله وسلم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات وتنمو البركات وتُضاعف الحسنات، أحمده جل وعلا على فواضل إحسانه وامتنانه وهو القائل جل وعلا: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨] صدق الله العظيم، وأصلي وأسلم على سيد الأولين والآخرين وعلى آله الهداة الطاهرين من يومنا هذا إلى يوم الدين.

وبعدُ فإن لعلم التاريخ المزايا العظيمة والفوائد الجسمية تبلغ بالإنسان درجةً عاليةً ويكتسب بذلك فوائدَ جليلةً ويرفع بالعقل درجة عالية لما فيه من العبر التي تعين على التقوى وإن في تأمله لَعِبَراً، وفي فصوله لَخبراً، قال تعالى: ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَـذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[هود:١٢٠] وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[يوسف:١١١] وهكذا القرآن يقص علينا وقائع الأولين لما في ذلك من العبر والتذكير لأولي الألباب، ولما كان في التاريخ كتب مطولة،

مع قلة الهمم عن مطالعتها والوقوف عليها، وكثرة أشغال القلوب فقد سألني وطلب مني من لا يسعني مخالفتُه أن أضع مختصراً وجيزاً في التاريخ ونجعله في أعظم موضوع وأجل مقصود، وهو في سيرة سيد الأولين والآخرين، لما في ذلك من عظيم الفائدة، ومعرفة سيرته وتاريخه من أعظم وأجل المقصودات، ولو قلنا إنَّ ذلك واجب لم نذهب بعيداً، وإن كان لا يسع لتفصيلها الأوراقُ الكثيرةُ فسنشير إلى الأهم منها قصداً للاختصار كما ذكرنا ولما في ذلك من التبرك بذكره. ومن تأمل سيرته ونظر إليها بعين التحقيق وعرف ما لقي من الأذى وما قام به من الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله، وصلاح العباد، فتارة ستأخذه العَبرة، وتارة يمتلئُ قلبُه سروراً، وتارة يزداد إيماناً ويقيناً، وتارة يتأسى برسوله وبأصحابه الراشدين، بما كان هناك من الإخلاص والوفاء وبذل الأنفس والأموال، ويأخذ منها دروساً وعِبراً، وإن في سيرته ما لا أقدر أن أصفه من الفوائد الدينية، ومن نظر وتأمل ما لقي من الأذى والابتلاء من الأوضاع المختلفة، والوسائل الكثيرة والمحن الواسعة الشهيرة، ومع ذلك فهو صفي الله وأمينه وخيرته من خلقه، علم[1] أن هذه الدارَ دارُ ابتلاء واختبار ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾[الملك:٢] ففاز من حسن إيمانه واحتذى بالصالحين من عباده، وإني أرجو اللَّهَ سبحانه أن يكون هذا المختصر عند الطالبين مرغوباً، وعند العارفين مرجعاً ومحبوباً، ولا غروَ فمن هو الذي لا يرغب في هذا المقصد العظيم، وذكر النبي الكريم، إن

(١) خبر لقوله: ومن نظر ... إلخ.

في ذكره تصفيةً للقلوب، وتفريجاً للهموم والكروب، كما أن ذلك معروف عند أولي الألباب؛ هذا وسنجعله ونضعه على أربعة فصول: **الأول**: في ذكر مولده وما يتبع ذلك إلى وقت مبعثه، **والثاني**: في دعوته السرية والجهرية إلى وقت هجرته، **والثالث**: في هجرته وما يتبع ذلك، **والرابع**: في جهاده وما يتبعه ذلك إلى وقت وفاته.

وهذا أوان الابتداء نسأل الله الإعانة والتوفيق إلى أقوم طريق.

الفصل الأول
نسبه صلى الله عليه وآله وسلم

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَي بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كِنانة بن خُزَيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مُضَر بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان.

كان عبد المطلب جد رسول الله قد جاوز التسعين وقد ناله بعض العجز، وكان قد وُجد له عبد الله الذي كان يحبه حباً شديداً، وكان يرى فيه أشياء لم تكن في غيره من النور في جبينه، وغرة بيضاءَ.

وكان قد بلغ عمره أربعاً وعشرين سنة الأمر الذي حمل عبد المطلب على أن يزوجه قبل أن يموتَ، فزوّجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهْرَة سيد بني زُهْرَة وكان عبد الله رجلاً وسيماً، شاباً قوياً، تتعرض له كل النساء، كل واحدة تحبه إذا رأته، وكل من رآه يحبه، لما فيه من العلامات الخارقة. ثم بعد الزواج بنى بها ووقف عندها أياماً وبعد ذلك رحل إلى الشام ثم رجع إلى أخواله بالمدينة[1]، وعرج بها أياماً، ثم مرض ومات رحمه الله، وترك امرأته حاملاً، ثم بقيت إلى أن أتاها الوضع فوضعت بهذا الولد المبارك، فأرسلت إلى جده عبد المطلب وقالت: قد وجد لك ولد فأْتِه، فجاء فأخبرته الخبر، وما

(١) وهم بنو النجار حي من الخزرج وهم أخوال عبد المطلب، أما عبد الله فأخواله بنو مخزوم من قريش. تمت.

رأت من النور عند الوضع، فحمله فأدخله الكعبة ودَعا له وسماه محمداً فقيل له: لِمَ سميته محمداً ولم يعهد هذا الاسم في آبائك قال: لأني أرجوْ أن يكونَ محموداً في السماء، والأرض وأنشأ يقول:

الحمد لله الذي أعطاني

هذا الغلام الطيب الأردان

قد ساد في المهد على الغلمان

أعيذه بالبيت ذي الأركان

إلى آخرها.

كراماته:

[و] عند الوضع كانت تخبر أمه أنها رأت في منامها أنه خرج منها نور أضاء له الأفق حتى رأت بيوت[1] كسرى، وأنها لم تجد عند الحمل ما تجده النساء من الثقل والألم، وعند الوضع لم يصل إلى الأرض إلا وهو رافع بصره إلى السماء، وظهر النور في الأرض، وارتج إيوان كسرى، وسقطت شرفاته، وحرست السماء بالشهب، وقطع رصيد الشياطين ومُنعوا من استراق السمع، وقال الشاعر في ذلك:

أضاءت لمولده الآفاق واتصلت

بشرى الهواتف في الإشراق والطَّفَل

(١) لعله قصور.

وصَـرْح كـسرى تَـداعى مـن قواعـده

وانقــض منكــسرَ الأرْجــاء ذا ميَــل

وخمدت نار فارس وكان لها ألف عام لم تخمد.

ولد فجر يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت مـن شـهر ربيـع الأول، واحتفل عبد المطلب لمولده في اليـوم الـسابع فـذبح جـزوراً وجمـع عليـه كثيراً، قال أبو شامة شيخ النووي: ومن أحـسن مـا ابتـدع في زماننـا مـا يُفعل كل عام في يوم مولد المصطفى من الصدقات والمعـروف، وإظهـار الزينة والسرور، فإن ذلك مع مـا فيـه مـن الإحـسان إلى الفقـراء وذوي الحاجة، مشعر بمحبة المصطفى وتعظيمه في قلب فاعل ذلك، وشـكراً لله على ما مَنَّ به من إيجاد رسول الله الذي أرسله الله رحمةً للعالمين.

وقال السخاوي: ما زال أهـل الإسـلام في سـائر الأقطـار والمـدن الكبـار يعملون المولد ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات، ويظهر عليهم من بركاتـه كلُّ فضلٍ عميم، وقد ألف فيه المؤلفون التأليفات الكثيرة من ذلك (التنـوير في مولد البشير النذير). أجازه الملك المظفر بألف دينار على ذلك، وقيل إنـه كـان يصرف في المولد على الفقراء ثلاثمائة ألف دينار. اهـ.

وفي هذا رد على الذين يبدِّعون المولد، والمبدّع مجترئ على الله وعلى المسلمين، فالمولد مشروع لما فيه من تعظيم شعائر الله تعالى ﴿**وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّـهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾[الحج:٣٢]، والفرح والمسرة بالمشروع من الفضائل ومن صفات المؤمنين قال تعالى ﴿**يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ،**

بِنَصْرِ اللَّـهِ﴾ [الروم:٤، ٥] ، ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّـهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[يونس:٥٨]وبحمد الله لا يزال يُفعل في أكثر مدن المسلمين فعلى المطلع أن يكون على بصيرة من دينه، متجنباً للخرافات.

وأقول: إن المبتدعين الذين يقولون إن الاحتفال بالمولد بدعة هذا شيء غريب وهم يحتفلون للملوك بأعياد ميلادهم.

رضاعه صلى الله عليه وآله وسلم

كان من عادات ملوك العرب وأهل مكة أن يختاروا للرضيع مرضعةً من الأعراب حتى يسلمَ من وباء مكةَ ونحوها، ويتنسم بريح الصَّبا، ويتعلم اللغة العربية ليكون أنجب للولد، فجاءت نسوة من بني سعد يلتمسن الرُضَعاء طلباً للمعروف، لما هم فيه من القحط والجدب، ومعهن حليمة السعدية، وكانت حليمة تخبر: أنها أتت إلى مكةَ على أتان[1] ضعيفة، ومعها ولدُها وشارف[2] وما فيها شيء من اللبن، إلا لبن قليل جداً، ولا ينام الصبي من شدة الجوع والعطش، ولكنا نرجو الغيثَ والفرجَ، فما منا امرأة إلا وقد أصابت رضيعاً، ولم نجد إلّا هذا الولد اليتيم وقد عُرِض عليهن كلّهن ولا يرغبن فيه لأنه يتيم، ولأنهن يطلبن المعروف، فقلت لزوجي: نأخذ هذا اليتيم ولعل اللّهَ يجعل لنا فيه خيراً ولا نرجع بغير رضيع، فقال: على بركة الله، فأخذته فلما وضعتُه في حجري فإذا النور يضيء في وجهه، وإذا ثدياي قد احتفلتا باللبن الكثير، والشارف كذلك. فقال زوجي: والله لقد أخذتِ نَسَمة مباركةً، فرجعنا وإذا الأتان لا يسبقها شيء، فتعجبت النساء وقلن: ما بال الأتان، وما هذا أتانكما الأول. قلت: بلى. قلن: والله إن له لشأناً. فرجعنا إلى بلادنا وكنا في شديد الجدب، فأنزل الله علينا البركات في أرزاقنا، ومواشينا تروح بطاناً حافلات باللبن، فبقي معنا ستين، وأرجعته إلى أمه وأنا شفيقة عليه، وطلبت من أمه أن ترجعه معي فقالت: خذيه مباركة.

---

(١) الأتان أنثى الحمار.

(٢) من النوق المُسِنّة الهَرِمة.

شق الصدر

فلما رجعنا إلى بلدنا بقي عندنا أشهراً وقيل سنتين وأنه هو وأخوه في بُهْم لنا[1] إذ أتانا أخوه يشتد ويصيح يا أماه يا أبتاه فقلنا: مالك؟ قال: إن أخي القرشي قد أخذه رجلان وبقروا بطنه، قالت: فجئت أنا وأبوه فوجدناه قائماً منتقعاً. فقلنا: ما بالك؟ قال: أتاني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني فشقا بطني والتمسا فيه شيئاً ما أدري ما هو، فرجعنا إلى خيامنا وكان هناك يهودي فأخبرناه فضمه وقال: اقتلوه واقتلوني معه، فأخذناه وقال زوجي: يا حليمة واللّهِ إني أخاف على هذا الولد فلو أرجعتيه إلى أمه، فأرجعتُه فقالت أمه: ما بالكِ أرجعتيه وكنتِ عليه حريصةً، فما زالت بي حتى أخبرتها بما وقع فقالت: أَوَ تَخَوَّفْتِ عليه الشيطان فما للشيطان عليه من سبيل، وإن لابني هذا لشأناً فدعيه وانطلقي راشدةً.

---

(١) البُهْم: صغار الغنم.

وفاة آمنة بنت وهب أم الرسول
صلى الله عليه وآله وسلم

خرجت آمنة إلى المدينة لزيارة أخوال جد الولد وهم بنو النجار، ولزيارة قبر زوجها عبد الله بن عبد المطلب، فمرضت وهي راجعة وتوفت بالأبواء ودفنت هنالك وهو موضع بين مكة والمدينة معروف. وكان عمره ست سنين فحضنته أم أيمن بركة الحبشية التي ورثها بعد أبيه، لأنها كانت لأبيه وحملته إلى جده عبد المطلب الذي كان يحبه حباً شديداً. وكان يُفرش لعبد المطلب عند الكعبة، ولا يَجْلس عليه أحد إلّا هو، وكان يُجْلس محمداً عنده، ومن أراد أن يؤخره عن الفراش يقول عبد المطلب: دعوه يجلس عندي فإن له لشأناً. وقد صار يتيماً من أمه وأبيه فقام بكفالته عبد المطلب إلى أن توفي، وأوصى به إلى أبي طالب فقام بكفالته أحق قيام.

وفاة عبد المطلب

لما بلغ رسولُ الله عمُره ثمان سنوات توفي جده عبد المطلب عن مائة سنة وعشر سنين، ولما حضرته الوفاة أوصى به إلى عمه أبي طالب فكان يحبه حباً شديداً لما يرى فيه من البركة، وكان لا ينام إلا وهو بجنبه، وكانوا في شدة من القحط العظيم فاستسقى به أبو طالب فكثر المطر وأخصب الوادي فقال أبو طالب في ذلك:

وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه

ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يلوذُ به الهُلَّاكُ من آل هاشم

فهم عنده في نعمة وفواضل

وقيل هي لغيره في أبي طالب.

سفره إلى الشام

لما بلغ عمره أربع عشرة سنة سافر أبو طالب مع ركب يبغون التجارة ولكنه مع شفقته له وخوفه عليه من اليهود أخذه معه، فسافر به فوصلوا إلى بُصْرَى الشام، وكان هناك راهب يقال له بُحيْرى، وكان لا يعترضهم كلما مَرُّوا، وفي هذه السفرة رآهم تحت شجرة ورأى فوقهم قطعة من غمام تظلهم فطلبهم، وأكرمهم وصنع لهم طعاماً فلا زال يتأمل في الصبي حتى فرغوا فقال لأبي طالب: من أبو هذا الصبي؟ فقال: توفي، قال: وأمه. قال: نعم، فقال له: إن لهذا الولد شأناً عظيماً، فاحذر عليه من اليهود، فإنهم أعداؤه. ولا زالَ ينمو في مكارم الأخلاق وفي سلوك يباين سلوكَ أهل مكةَ وغيرهم، حتى بلغ من حاله أن سموه بالأمين لوقاره وهديه وصدق لهجته، وبُعده عن الأدناس، وشرف أخلاقه، وكان لا يحضر مجالسَ الجاهلية، ولا يعبد صنماً، ولا يأكل مما ذبح عند الأصنام، وكان مُطَّهراً من كل عيب، وكان يَرْعى غنماً لأهل مكةَ بالأجرة، ويقول: «ما من نبي إلا وقد رعى غنماً» وذلك ليأخذ كيفية الرّعاية للأمة ولزيادة الرحمة والشفقة في قلبه.

زواجه بخديجة

كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، امرأةً حازمةً شريفةً غنيةً جميلةً من أوسط قريش نسباً وأعظمهم شرفاً، وكانت تُدْعى في الجاهلية بالطاهرة وبسيدة قريش، وقد خطبها كثير فلم ترضَ وطلبت من النبي أن يسافرَ مع عبدها ميسرة في تجارة لها، وفي نفسها شيء مما قد بلغها من ابن عمها ورقة بن نوفل وتريد أن تتأكد فربحت ربحاً كثيراً وأخبرها عبدها ميسرة أنه رأى أشياء خارقة، من تظليل الغمام له من الشمس وغير ذلك، فحملها على أن تخطبه فأرسلت هي إليه. أرسلت أختَها ترغبه في الزواج، فقال: «ما بيدي ما أتزوج به» قالت: «فإن كُفيت ذلك، ودعيت إلى الجمال والشرف» قال: «أفعل إن شاء الله»، فأرسلت إليه أن يأتي في ساعة كذا وكذا وأرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها، فحضر وحضر معه عمومتها وابن عمها ورقة فخطب أبو طالب خطبة بليغة أشاد فيها بمحمد وببني هاشم ثم خطب بعده ورقة بخطبة بليغة، فوقع العقد، وقد حضر صناديد قريش، وكان العاقد ابن عمها وهو عمرو بن أسد، تزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة وخديجة بنت أربعين سنة وولدت فاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم وقيل: الطاهر والقاسم والله أعلم.

وضع الحَجَر

لما عزمت قريش على إصلاح البيت، وكان على الكعبة حية عظيمة تمنع من أتى إليها، فلما أراد الله ذلك، قيّض الله العُقاب فأخذتها، فاجتمعت القبائل وقالوا: الآن قد أراد اللّهُ إصلاحها، فأخربوها وجمعوا الحجارة وأخذت كل قبيلة تبني ركناً، وهي أربع قبائل، فلما وصلوا عند وضع الحجر اختلفوا من يضعه، وكادت الحرب تشتعل بينهم، فقال: كبيرهم الحل أن نُحكّم أول داخل، فكان أول من دَخل رسول الله فأخبروه الخبر، فقال: «هاتوا رداءً» فبسطه ووضع الحَجَر وسطه، وقال: كل قبيلة تأخذ بركن إلى أن رفعوه إلى حيال محله فوضعه الرسول بيده [الشريفة] وبنى عليه، فكان هذا حلاً سديداً وبه سكنت الفتنة بينهم فشكروه على صنيعه هذا وهذه من البشائر المتقدمة.

مبعثه صلى الله عليه وآله وسلم

لما قربت أيام البعث والوحي كان يتعبد في غار حراء ويحب الخلوة للعبادة وكان يتعبد على دين أبيه إبراهيم عليه السلام وقيل إلهاماً ألهمه الله، وفي مقدمة ذلك الرؤيا في المنام فكان لا يرى شيئاً إلا جاءت مثل فلق الصبح، قيل مدة ستة أشهر فلما تم له من العمر أربعين سنة جاءه جبريل عليه السلام بالوحي، وذلك في يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان وهو في غار حراء، جاء جبريل عليه السلام وقال: اقرأ قلت: ما أنا بقارئ، فغطّني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فعل ذلك ثلاث مرات، فقال: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ**﴾[العلق:١، ٣] فلما ذهب عني ما أجد من الخوف نزلت إلى وسط الجبل فسمعت صوتاً من السماء يقول: يا محمد إنك رسول الله وأنا جبريل، وأينما نظرت إلى السماء فإذا هو قد سد الأفق فلا أنظر إلى جهة إلا رأيته فوقفت متحيراً حتى لم أر شيئاً، فرجعت إلى خديجة وفؤادي يرجف فقلت: زمّلوني زمّلوني حتى ذهب روعي وخبرت خديجة بما رأيتُ، فقالت: ما عليك إن الله لا يخزيك أبداً إنك تصل الرحم وتقري الضيف وتعين على نوائب الدهر، ثم أتت ابنَ عمها ورقة بن نوفل [معه] فأخبرته الخبر، فقال: الله أكبر هذا هو الناموس الأكبر، ليتني فيها جذعاً[1] ليتني معك إذ يخرجك قومك. فقال:

---

(١) الشابة الحَدَث. تمت قاموس.

أَوَ مُخْرِجِيَّ هُم؟ قال: نعم، لا يأتي أحد بمثل ما جئت به إلا عودي ولو أدركتُ يومك لنصرتُك نصراً مؤزراً، قيل: كان قيس بن نُشْبَة منجماً فلسفياً واعداً لمبعث نبي فأتاه حين بلغه فقال: يا محمد مَا كَحْلَةُ؟ قال: السّماء، قال وما مَحْلَةُ؟ قال: الأرض، فآمن به[1]، وقال: لا يعرف هذا إلّا نبي وقال:

تابعتُ دينَ محمد ورضيتُه

كلَّ الرضا [لأماني ودِيني]؟

ما زلت آملُه وأرقب وقتَه

والله قدَّر أنَّه يهديني

أعني ابنَ آمنةَ الأمين ومن به

أرجو التخلصَ من عذابِ الهونِ

(١) فآمن له. تمت.

فترة الوحي

تأخر الوحي بفترة فأخذه ما قَدُم وما حدث، وما هو السبب بعد أن اصطفاه رسولاً، وكذلك لم تكن خديجة أقل منه شفقة ووجلًا إلا أنها تقول: لعل الله قد قلاك، فانقطع في جبل حراء يدعو اللّهَ ويسأله لِمَ قلاه؟ فأنزل الله عليه سورةَ الضحى إلى آخرها آيات تسكّن النفس، وغبطةٌ للقلب، وبهجة للفؤاد، فزال كل روعه ومخاوفه وارتسمت على ثغره ابتسامة الرضا فتولاه اللّهُ برحمته وأزال منه كلَّ خشية وريبة من نفسه هو وخديجة والحمد لله تعالى.

الفصل الثاني
في دعوته سراً

لما ظهر للمشركين أنه قد بعث الله رسولاً اشتد غضبهم وطاشت حلومُهم وتغيرت لذلك عقولُهم لمعرفتهم أن الرسالة ستُبطِل كِبْرَهم وتهدم أصنامَهم، وكان المشركون متمسكين بها تمسكاً شديداً لترسخها في نفوسهم منذ زمن طويل فلا يسمعون عذل عاذل[1] ولا نُصح ناصح بل يقابلون من عابها بالشدة والإغلاظ وتثور ثوائرُهم، فلم يكن من الحكمة إظهار الدعوة والجهر بها وأصحابه القليلون تحت العذاب وكيف يجهرون بالإسلام وشعائره أمامَ أمة متعصبة بأسرها لدينها الوثني، ولما نَزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنذِرْ، وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[المدَّثر:١-٣]، إلى قوله: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾[المدَّثر:٧] ، الآيات، أخذ رسولُ الله يدعو الناسَ سراً وخفية لمدة ثلاث سنوات لعدم الأمر بالإظهار، وكان من أسلم يذهب إلى بعض الشعاب يتخفى بصلاته من المشركين حتى لقد اطلع نفرٌ من المشركين على سعد بن أبي وقاص وهو في نفرٍ من المسلمين في بعض الشعاب فعابوا عليهم ما يصنعون، فقاتلوهم وضرب سعدٌ رجلاً منهم فشجه وهو أول دم أهرق في الإسلام فعند ذلك دخل رسول الله هو وأصحابه دارَ الأرقم مستخفين بصلاتهم وعبادتهم إلى أن أمره الله

---

(١) أي لوم لائم. تمت.

بإظهار الدعوة، ودار الأرقم هي دار للأرقم بن أبي الأرقم من السابقين في الإسلام، وهي دار في أصل الصفا، وقد أسلم كثير في تلك الفترة السرية فمنهم أبو ذر الغفاري الرجل العظيم، وإليك بعض قصة إسلامه لما بلغه أنَّ في مكة نبياً سارع إلى هنالك فرآه أمير المؤمنين عليه السلام فدعاه للضِّيافة واليوم الثاني واليوم الثالث وكان من عادة العرب لا يسألون عن حاجة الضيف إلا بعد انتهاء الضيافة وهي الثلاثة الأيام، وقال له: ما أقدمك إلى مكة؟ قال: سمعتُ ببعثة نبي وأريد أن أتفق معه. فقال: أنا أدلك عليه فاتبعني وتأخر عني فإذا رأيت من أكرهه فسأميل عن الطريق كأني أريد حاجة، فتوجها إلى رسول الله ودخل عليه البيت فدعاه إلى الإسلام فلم يتأخر وأسلم وقال: يا رسول الله إني لا بد أن أظهر إسلامي فنهاه النبي وخرج وطلع في باب الكعبة ونادى بشِّهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله: فضربوه ضرباً شديداً إلا أن العباس منعهم، وفي اليوم الثاني كذلك وبعد ذلك أمره الرسول بالرجوع إلى بلده ويدعو أصحابه إلى الإسلام إلى أن يفرج الله. فرضي الله عنه فكان من المؤمنين السابقين الأقوياء في دين الله، في أيام الخلفاء حتى خرج إلى الرَّبَذَة في أيام عثمان وقد بشره الرسول بذلك وقال: «سيموت وحده وسيدفن وحده ويبعث وحده» ولا زال الرسول ﷺ يكتم الدعوة سراً حتى نزل قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[الحجر:٩٤] ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء:٢١٤] ولما نزلت

هذه الآية دعا عشيرته إلى طعامه في بيته وحَاول أن يـدعوَهم إلى الله وإلى الإسلام فقطع أبو لهب حديثه واستنفر القوم ليقوموا فدعاهم مرة أخرى فقال: أيها العشيرة ما أعلم أن أحداً قد جاء بمثل ما جئتكم بـه، جئـتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني ربي أن أدعوَكم إليه فأيكم يؤازرني علـى هذا الأمر؟ فأعرضوا عنه كلُّهم لكن أمير المؤمنين علـي بـن أبـي طالـب عليه السلام نهض وهو مراهق للحُلُم قال: أنا يا رسـول الله أنـا عونـك أحارب من حَاربت فتبسم بنو هاشم وجعلوا ينظـرون إليـه تـارة ثـم إلى أبيه أخرى، ثم انصرفوا مستهزئين، ثم انتقل يدعو أهلَ مكة جميعاً. صَعِدَ الصفا ونادى: يا معشر قريش فاجتمعوا ثم قال: أرأيتم لـو أخبَـرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل أكنتم تصدقوني، قالوا: نعم أنت عندنا غير متهم، قال: فإني نذير لكم بين يدَي عذاب شديد، وقال: يا بني عبد المطلب يـا بني عبد مناف يا بني زهرة يا بني تيم يا بني مخزوم يا بني أسد إني لا أغـني عنكم من الله شيئاً إلّا أن تقولوا لا إله إلا الله، فصاح أبو لهب وقال: تبـاً لك أجمعتنا لهذا؟ فنظر إليه مغضباً ولم يلبث أن نزل قولـه تعـالى: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾[المَسَد:١] السورة إلى آخرها.

إيذاء المشركين للمسلمين

لما أظهر دعوته تحرك المشركون ونصبوا العداء لرسول الله وللمسلمين، فمنهم من عُذب حتى مات مثل ياسر وزوجته، ومنهم من عُذب عذاباً أليماً كبلال وصهيب وعمار وغيرهما.

أما الرسول فعمه أبو طالب يحميه ويناصره ويدفع عنه كل أذى، ولقد دارت بينه وبين المشركين محاولات كثيرة تارة يبذلون له مالاً واسعاً، وتارة يبذلون له ولداً فداء بدل محمد ليعطيهموه يقتلونه، وتارة غير ذلك فقال لهم: أما المال فلا حاجة لنا به، وأما الولد فما تنصفونني أتعطونني ولداً أغذيه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه؟ فقال له المطعم بن عدي: ما أراك تريد أن تقبل منا شيئاً، فقال أبو طالب: والله ما أنصفتموني ولكنكم قد أردتم وأجمعتم على خذلاني ومظاهرة القوم عليّ فاصنعوا ما بَدا لكم. فاشتدت الحرب وتنابذ القوم بالكلام ولكنّ أبا طالب لم يهزه شيء ولا زاده مظاهرة القوم إلا شدة لأنه الشجاع الباسل. وروي له أشعار كثيرة يُعَرِّض بهم ذكرها ابن هشام في السيرة، روي أنه اختبر الرسول لينظر ثباته وقال له: يا بن أخي إن القوم قد جاؤوني وقالوا كذا وكذا فهل لك أن تُبقي عليّ وعلى نفسك.

فظن رسول الله أنه خاذله فقال: «يا عمُ والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يُظهره

اللَّـهُ أو أهلكَ دونه» فلما ولَّى دعاه عمه وقال يا بُـني اذهـب فافعـل مـا أحببت واللَّـهِ لا أسلمك لشيء أبداً وأنشد يقول:

والله لـــن يـــصلوا إليـــك بجمعهـــم

حتـــى أوسَّـــد في الـــتراب دفينـــا

فاصـــدع بـــأمرك مـــا عليـــك غـــضاضة

وامـــضِ وقـــرَّ بـــذاك عيونـــا

ولا زال يتلقى الأذى بكل وسائله ويتلقاه بالصبر وقوة العزيمة صلابةً في عودٍ وقوة في عزيمة وثباتاً في إرادة وكذلك الذين معه.

إن هذه الفترة لهي أشد ما عرف التاريخ الإسلامي، فما كان محمد والذين اتبعوه طلابَ مال ولا جَاه ولا سلطان، بل كان طالبَ هُدىً للذين ناصبوه بالأذَى وغيره كان منزله يرجم وأصحابه يُهَدَّدُون ولا يزيدهم إلا قوة وثباتاً.

دعا رسول الله سراً وجهراً فاستجاب له من أحداث الناس وضعفائهم كثيرون حتى كثر من آمن له إلا أنه لما عاب آلهتهم اشتد غضبهم وتتبعوا له الغوائل هو وأصحابه وظهر الحسد والبغضاء وأعظمهم ضراً وحسداً وبغضاً أبو جهل وأبو لهب اللذين لم يكن عملهما إلا العداء والمعارضة.

تعذيب المسلمين

ثم بدا للمشركين أن يعذبوا من قدروا على تعذيبهم كعبيدهم ونحوهم من الضعفاء فأما ياسر فقتلوه في الرمضاء، وأما زوجته فطعنها أبو جهل وقتلها، وأما عمار فتكلم بكلمة الكفر مع شدة العذاب وجاء إلى رسول الله وهو يبكي فقال: ما وراءك؟ قال: شر يا رسولَ الله كان الأمر كذا وكذا، فقال: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئن بالإيمان، قال: يا عمار فما عليك وإن عادوا فَعُد، ونزل قوله تعالى: ﴿**إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ**﴾[النحل:١٠٦].

ومنهم بلال بن رباح الحبشي وخبَّاب بن الأرتِّ، وصهيب بن سنان وغيرهم وتخلصوا من العذاب منهم بالفداء ومنهم من قَيّض الله من يشفع له إلى غير ذلك.

الهجرة إلى الحبشة

لما رأى رسول الله ما نزل بأصحابه من الأذى وما هو فيه من السلامة لمكانته من الله ودفاع عمه عنه وهو لا يقدر أن يمنع عنهم، فقال لهم: لو خرجتم إلى الحبشة فإن فيها ملكاً لا يُظلم أحدٌ عنده حتى يجعلَ الله فرجاً ومخرجاً مما نحن فيه، فهاجر إلى الحبشة اثنا عشر رجلاً وأربع نسوة وذلك في السنة الخامسة من البعثة وكان خروجهم سراً، فلما وصلوا إلى ملك الحبشة استقبلهم وأحسن إليهم وأمنهم وقالوا: قدمنا إلى أرض الحبشة فجاورنا بها خير جار أمّننا على ديننا وعَبَدنا اللّـهَ ولا نؤذى، ولا نسمع شيئاً نكرهه، هذا وقد كان لهجرتهم، وإن كانوا قليلاً عظيمُ الأثر في تاريخ الإسلام.. وكان برهاناً ساطعاً لأهل مكةَ على بلوغ حرصهم على الإسلام وتفانيهم في احتمال ما يصيبهم من الأذى ومن المشاق والخسائر، وقد تركوا أهلهم وأولادهم في سبيل تمسكهم بدينهم وعقيدتهم وكانت هذه الهجرة تقدمة للهجرة الثانية لأنه بلغهم أن أهل مكةَ قد تركوا أذيةَ المسلمين فعادوا إلى مكة فاشتد الأذى فأمرهم النبي بالهجرة الثانية وكان عددهم نحو ثمانين رجلاً وإحدى عشرة امرأة وأقاموا بها إلى بعد هجرة النبي إلى المدينة وكان لهذه الهجرة أثرٌ أعظم من الأولى، فلم يطمئن أهلُ مكةَ ولم يستريحوا ولم يسكن لهم بال حتى بعثوا رجلين إلى النجاشي ومعهم الهدايا العظيمة لعلمهم أن النجاشي إذا

قبلها سيكون له الأثر البالغ في جزيرة العرب، وكان الرجلان عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة فوصلا إلى النجاشي وسمع كلامهما، وسأل النجاشي جعفر بن أبي طالب بكلام حسن وقال: ما هو الدين الذي جاء به نبيكم؟ فتلا عليه بعض سورة مريم وأعلمه بما جاء من تحريم الظلم والفواحش فرحب النجاشي بالمهاجرين وطرد الرجلين ولم يقبل هداياهما.

إسلام حمزة بن عبد المطلب عليه السلام

إن في إسلام حمزة آيةً عظيمةً وشداً لأزر رسول الله لأنه الشجاع البطل المعروف عند قريش، لقد كان في قنص ورسول الله عند الصفا فمر به أبو جهل وسبه سباً شنيعاً وكانت جارية تسمع فمر حمزة فدعته الجارية وقالت: ما لقي ابنُ أخيك من أبي جهل لقد آذاه وشتمه وسبه ومحمد لم يكلمه بشيء، فغضب حمزة غضباً شديداً ودخل المسجد مسرعاً فوجد أبا جهل في القوم حتى إذا قام على رأسه فضربه بالقوس في رأسه ضربة شج بها رأسه، فقام رجال قريش يريدون الانتصار لأبي جهل وقالوا: يا حمزة ما نراك إلّا قد صبأت[1]، قال: ومن يمنعني أن أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله والذي يقوله الحق فامنعوني إن كنتم صادقين، رحمك الله يا حمزة على هذا الجواب، فقال أبو جهل: دعوا أبا عمارة فإني قد سببت ابنَ أخيه سباً قبيحاً، فثبت على إيمانه وإسلامه وكان من أعظم أعوان الرسول شهد المشاهد كلَّها وقُتِل يومَ أحد كما يأتي تفصيله، ولما أسلم حمزة علمت قريش أنه قد عز وامتنع وفت إسلامُه عضدَ قريش لأنه أعلن إسلامه على رؤوس الملإ بشجاعة وبطولة وتحدي.

---

(١) أي تركت ديننا واتبعت محمداً ﷺ.

قضية الصحيفة

لما بلغ بالمشركين شدة الحنق وظهرت لهم قوة النبي بإسلام حمزة بن عبد المطلب وبإسلام ثلاثين رجلاً بعده وجعل الإسلام ينتشر في جزيرة العرب، اجتمعوا وتشاوروا وأتمروا على أن يفعلوا ويكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه بغياً وعدواناً على محمد وعلى بني هاشم وأن يتعاقدوا فيه على بني هاشم أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم ولا يقبلوا منهم صلحاً أبداً ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلّموا لهم رسول الله ليقتلوه وكتبوا بذلك صحيفةً وعلقوها داخلَ الكعبة وذلك سنة سبع من النبوة، وكان الذي كتب الصحيفة بغيض بن عامر بن هاشم فدعا عليه رسول الله فشلت يده فمن قريش من استاءَ من الصحيفة ومنهم من سَرَّته فأقاموا في الشعب نحو ثلاث سنين وقيل: سنتين إلّا أنهم أنفقوا أموالهم في حال الحصار وكان يمن الله عليهم من يُسَرِّب إليهم الطعام فلما بلغ بهم الجَهد[1] ما بلغ سلط الله الأرضة على الصحيفة فأكلت كل الكلام الباطل وتركت ما فيه ذكر الله فأخبر النبي أبا طالب فخرج إلى قريش وقال: أخبرني ابن أخي أن الله قد سلط على صحيفتكم الأرضة فانظروا إليها فإن كان حقاً ما يقول نزعتم عن سوء رأيكم، وإن كان كاذباً دفعته إليكم لتقتلوه، فقالوا: أنصفنا فنظروا إلى الورقة فإذا هي كما قال رسول الله فَسُقِطَ في أيديهم[2] ونكسوا على

---

(١) بالفتح إلا المشقة والتعب. تمت.

(٢) كناية عن ندمهم. تمت.

رؤوسهم فقام وجهاؤهم فأخرجوهم من الشِّعب، وفي هذه القضية التي تفيدنا قوةً في إيماننا بما ناله من الأذى وبما أيده الله من المعجزات وهذه حكمة من الله تعالى وابتلاء لنبيه وصفيه هو وأصحابه لمعرفة قدر هذه الحياة وأن الله يعرضنا للسعادة الأخروية وكل ما أصاب محمداً من الأذى في سبيل دعوته أنه شفيع عند الكثير في زيادة العطف والرحمة عليه وإهانة لأعدائه.

كان أبو جهل البغيض الذي سماه رسول الله فرعون قريش أو فرعونه هذه الأمة يلقى إهانات من الضرب وغيره في معاداته لرسول الله.

وفاة أبي طالب رحمه الله

لما دخلت السنة العاشرة من النبوة جاءت الرسولَ الحادثةُ العظيمةُ وفاةُ عمه أبي طالب بالغاً من العمر ثمانين سنة وكان من أشد الناس دفاعاً عن رسول الله قال: ما زالت قريش كاعَّة[1] عني حتى مات عمي، ولما حضرته الوفاة دعا بني عبد المطلب وقال إنكم لن تزالوا بخير ما سمعتم قول محمد واتبعتم أمره فبايعوه وصدّقوه ترشدوا.

كثيرٌ من أتباع معاوية يروون أحاديث أنه لم يسلم وهي موضوعة وكذب صُراح ولا يقبلها العقل إنه بذل نفسَه ومالَه وحياته في نصرة رسول الله وأمر بني عبد المطلب أن يتابعوه ويؤازروه ويناصروه كما سبق قريباً أما أهل البيت عليهم السلام جميعاً فقد صح عندهم إسلامُه وكم له من النظم والأقوال في نصرة رسول الله وسب أعدائه، ومما قال في نظمه:

ولقد علمت بأن دينَ محمد

من خير أديان البرية دينا

قال المنصور بالله عبد الله بن حمزة في رده على ابن المعتز في أبيات له:

حماه أبونا أبو طالب

وأسلم والناس لم تُسْلِمِ

---

(١) أي يجبنون عني.

وقـــد كـــان يكـــتم إيمانـــه

فأمـــا الـــولاء فلـــم يكـــتمِ

فلا قَبول ولا سماع لمن قال إنه لم يسلم والروايات هي من وضع معاوية يريد أن ينتقصَ من علي عليه السلام.

وفاة خديجة رضي الله عنها

توفت خديجة المرحومة بعد أبي طالب بثلاثة أيام وقيل أكثر وقبل الهجرة بثلاث سنين وعمرها خمس وستون سنة فكان بقاؤها مع رسول الله خمس وعشرين سنة أو أربع وعشرين، ودفنها رسول الله بالحَجُون[1] وحزن عليها وسُمي ذلك العام عام الحزن لأنه توفي فيه أبو طالب وخديجة وكان الرسول يقول: الآن انهدَّ رُكناي، وبعد ذلك تتابعت عليه المصائب لأنهما كانا من أشد العضدَين المدافعَينِ عنه ولم ينسَ رسول الله محبة خديجة وإحسانها كان دائماً يثني عليها ويدعو لها ويكرم صواحبها لأنها كانت الزوجةَ الصالحة الوفية بذلت نفسها ومالها وحياتها وهي أول من صدقته فرضي الله عنها ورحمها آمين.

---

(١) موضع بمكة.

سفره إلى الطائف

بعد أن تتابعت عليه المصائب سافر إلى الطائف طالباً النصرة ومعه مولاه زيد بن حارثة فعمد إلى جماعة من أشراف ثقيف فدعا إلى الله تعالى وإلى الإيمان به فقال أحدهم: أما وَجَدَ الله أحداً يرسله غيرَك، وقال الآخَر: لا أكلمك أبداً لأنك إن كنت صادقاً فأنت أعظم من أن أكلمَك، وإن كنت كاذباً على الله فما ينبغي لي أن أكلمَك، فأغروا به السفهاء فرجموه بالحجارة حتى ألجؤوه إلى حائط وقد أدموا رجله فلما اطمأن دعا بهذا الدعاء المشهور وهو:

«اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي وهواني على الناس، اللهم ربَّ العالمين أنت ربُّ المستضعفين، إلى من تكلُني إلى بعيد يَتَجَهمُني أو إلى عدو ملَّكته أمري إن لم يك بك عَليَّ غضب فلا أبالي، ولكن رحمتك أوسعُ لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلحت عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك أو يحل عليّ سخطك لك العَتبى حتى تَرْضَى ولا حَولَ ولا قوة إلا بك » وهذا هو المشهور بدعاء الطائف.

فلما رآه ابنا ربيعةَ عتبةُ وشيبةُ وما نزل به تحرك له الرحم، فقالا لعبد لهما واسمه عَدَّاس: خذ من هذا العنب وضعه في صحن واذهب به إلى هذا الرجل، فوضعه بين يديه فقال: «بسم الله» فقال: إن هذا الكلام لا يقوله أهل هذا البلد فقال: «من أيَ البلاد أنت يا عَدَّاس؟» فقال: أنا

نصراني من أهل نِينَوى، فقال له النبي: «قرية الرجل الصّالح يونس بن متّى». فقال: ومَا يدريك ما يونس بن مَتّى؟ قال: «هو نبي وأنا نبي». فأكب عداس يُقَبِّل رأس رسول الله ويقبل يديه ورجليه وقيل: إنه أسلم، فقيل له: صبأتَ، فقال: والله ما في الأرض خيرٌ من هذا الرجل، ثم عاد رسول الله إلى مكةَ بعد أن راسل من يجيره فأجاره مطعم[1] بن عدي وبنوه وأخذوا السلاحَ ونزلوا المسجد، فرآهم أبو جهل فقال: أمجير أم متابع، فقال: مجير، فقال: قد أجرنا من أجرت. لكنه لا زال في أذية عظيمة ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾[الشورى:١٣] وكل ما نزل من الأذى تلقاه بالصبر وقوة العزيمة قال بعضهم: أهون ما لقي هو أن سفيهاً وضع على رأسه التراب. فدخل على فاطمة فجعلت تنفض التراب عن رأسه وتغسله وهي تبكي، وليس أوجع في نفوسنا من أن نسمع بكاء أبنائنا وبناتنا وكلُّ أنّة تثير في الأحشاء والكبد أنّات، وقد كان محمدٌ أبرَ إنسان ببناته وأحنى عليهن فما تراه يصنع لبكاء هذه البنت التي كان يحبها حباً شديداً وكانت منذ قريب فارقت أمها لكنه لم يزده ذلك إلا توجهاً إلى الله وقال: «يا بنية لا تبكي فإن الله مانع أباكِ وناصره»، صلوات الله وسلامه عليه ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[الأنعام:١٢٤].

---

(١) وهو مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب أحد سادة قريش وأشرافها. تمت.

الإسراء والمعراج

كان الإسراء قبل الهجرة بسنة فقط في ليلة سبع وعشرين من شهر رجب كان الإسراء إلى بيت المقدس والمعراج إلى السماء قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الإسراء:١] ، اختلف في الإسراء فقيل بجسده وقيل بروحه كالحُلُم وينبغي التأمل كما قال بعضهم فرق بين الإسراء بجسده والإسراء في النوم فلو كان نوماً لم يكن فيه أيُّ فضيلة ولا أنكره المنكرون وهو خلاف لفظ الآية فقد اتفق أكثرُ طوائفِ المسلمين أنه أسري بسجده وهو الواضح والمعمول عليه والواقع الصريح الذي أخبر به النبي وأنكره المشركون وصاحوا حتى رجع بعض من كان قد أسلم، قال الفخر الرازي في تفسيره: قال أهل التحقيق إنّ الذي يدل على أنه أسري بروح محمد وجسده القرآن والخبر، أما القرآن فهذه الآية وتقرير الدليل فلأن العبد[1] اسم لمجموع الجسد والروح فيكون الإسراء بالجميع، وأما الخبر فهو الحديث المروي في الصحاح وهو مشهور وهو يدل على الذهاب إلى القدس وإلى السماوات. والمعراجُ إلى السماوات هو ليطلع على عجائب الملكوت كما قال تعالى: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾، وأما الله فهو لا يحويه مكان

(١) أي المذكور في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾. تمت.

ولا زمان وأراه الله من عجائب عظمته وفرض الأذان والصلوات الخمس لأنه لم تكن الصلاة إلا ركعتين أول النهار، وركعتين آخر النهار كما قيل والله أعلم، ولما رجع وأصبح أخبرهم فمنهم من صَدّق وآمن ومنهم من كذّب وكفر، واستوصفوه بيت المقدس فوصَفَ لهم كل أوصافه مطابقاً لما عندهم وسألوه عن عِير لهم فأخبرهم بمكانها ومتى تقدم وكان الأمر كما وصف في الجميع.

بيعة العقبة الأولى في السنة الثانية عشرة

خرج رسول الله يَعْرِض نفسَه على قبائل العرب وكان يؤمهم في منازلهم ومجتمعاتهم وفي مواقف الحج بمنى وغيرها ويسألهم قبيلةً قبيلةً ويسألهم عن منازلهم ويأتي إليهم في أسواق المواسم لأن العرب كانت تحج وتأتي سوق عكاظ وسوق المجاز[1] وكان يأتي إليهم ويقول: «أيها الناس إن الله أمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً» وفي السنة الثانية عشرة لقي رهطاً من الأوس والخزرج عند جمرة العقبة وكان الذي لقيه من الخزرج أسعد بن زُرَارة ومعه ستة نفر فعرض عليهم الإسلام وقرأ عليهم شيئاً من القرآن فأثر في قلوبهم وقبلوا منه وأسلموا ورجعوا إلى المدينة فبعث معهم مصعب[2] بن عمير بن هاشم يعلمهم القرآن فأسلم على يديه سعد بن معاذ، وكان من أجل رؤسائهم فأسلم بإسلامه كثير من أصحابه فكان من أعظم الناس بركةً في الإسلام، وشهد المشاهد كلَّها، وأصيب في وقعة الأحزاب بسهم في يده انتشر منه الدم ودفن في البقيع وحزن عليه الرسول، وكثير من الناس وسيأتي زيادة في هذا الموضوع إن شاء الله.

---

(١) من أسواق العرب في الجاهلية قبل الإسلام. تمت.

(٢) من بني عبد الدار بن قصي وهو أول سفير في الإسلام. تمت.

بيعة العقبة الثانية

بيعة العقبة الثانية وقعت في السنة الثالثة عشرة اتفق جماعة من الأنصار على لقاء النبي مستخفين لا يشعر بهم أحد فوافوا مكة في موسم الحج واجتمعوا به وواعدوه وسط أيام التشريق فخرجوا ليلاً بعد مضي ثلثه فلقيهم رسول الله وخرج معه عمه العباس بن عبد المطلب ليستوثق منهم وهو أول من بايع تلك اللَّيلة وأول من تكلم فقال: يا معشرَ الخزرج إن محمداً منّا حيث قد علمتم في عزة ومنعة وإنه قد أبى إلّا الانقطاع منكم فإن كنتم ترون أنكم توفون بما وعدتموه فأنتم وذاك وإن كنتم ترون أنكم مُسْلموه فمن الآن دَعوه فإنه في عز ومنعة، فقالت الأنصار: قد سمعنا ما قُلْت فليتكلم رسولُ الله وليأخذ لنفسه، فتكلم وتلا القرآن ورغب في الإسلام وقال: «تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأبناءكم ونساءكم» وكان للبراء بن معرور في تلك الليلة المقام المحمود فأخذ بيده وقال: والذي بعثك لنا لنمنعنك مما نمنع منه ذرارينا فبايعْنا يا رسولَ الله، فنحن واللَّهِ أهلُ الحرب، وقال أبو الهيثم[1] بن التَّيِّهان: إنّ بيننا وبين الناس حبالاً نحن قاطعوهَا - يعني اليهود- فهل عَسيت إن أظهرك الله عزوجل أن تَرجع إلى قومك وتَدَعنا، فتبسم رسول الله وقال:

---

(١) أحد أعلام الصحابة، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ثم من بعده مع أمير المؤمنين علي عليه السلام واستشهد في صفين. تمت.

«الدَّمَ الدَّمَ والهَدْمَ الهدم، أنتم مني وأنا منكم أسالم من سالمتم وأحارب من حاربتم» وكان عدة المبايعين تلك الليلة سبعين رجلاً وامرأتين، واختار رسول الله اثني عشر نقيباً يكونون على قومهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس وقال: أنتم كُفلاء على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم عليه السلام وأنا كفيل على قومي. وفي هذه البيعة نصر عظيم والحمد لله.

الفصل الثالث
في الهجرة وما يتبعها

لما وقعت بيعة العقبة أقام رسول الله بعد ذلك شهر ذي الحجة ومحرم وصفر وهاجر إلى المدينة في شهر ربيع الأول، ولما بلغ المشركين بيعة الأنصار اشتد الأمر على أهل مكة وعلموا أن الأمر قد أصبح قوياً فكبر أذاهم للمسلمين فأمر النبي أصحابه بالهجرة إلى المدينة فخرجوا أرسالاً حتى لم يبق أحد بمكةَ من المسلمين ولقد كان لإسلام الأنصار في مكةَ شأن عظيم في تاريخ الإسلام بل في تاريخ الدنيا وكانت لبيعة العقبة الأثر العظيم وهو الذي فتح للمسلمين باب الهجرة ﴿**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ**﴾[الواقعة:١٠، ١١]، ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ**﴾[آل عمران:١٣].

لما بلغ قريش هجرة من هاجر إلى المدينة وقد كان هناك في المدينة أنصار من غيرهم وعرفوا أن الرسول قد أجمع على الهجرة سُقِط في أيديهم، وإذا انتصر الرسول فإن في ذلك الإبادة لرياستهم ولمكانتهم وهدم أصنامهم التي قد أخذت بأزمة قلوبهم اجتمعوا وتشاوروا يدرسون هذه المشكلة التي قد حلَّت بهم، فاجتمعوا في دار الندوة وهي دار قُصي بن كلاب وكانت قريش لا تمضي أمراً إلّا فيها، وكانوا يمنعون كل أحد من الدخول فيها إلّا قريش، فتشاوروا فمنهم من قال: يحبس

حتى يموت، ومنهم من قال: يقذف به في البحر، كل ذلك لم ينحل به الإشكال ثم اتفقوا على أن يختاروا من كل قبيلة رجلاً شاباً جليداً بسيوف صارمة فيضربوه جميعاً ليتفرق دمه في القبائل فلا يقدر بنو هاشم على المطالبة بدمه، فقيل: إن هذا هو رأي أبي جهل وقيل: حضرهم الشيطان وصوّب هذا الرأي، وهذا عندهم الحل الوحيد، ولكنّ يد الله فوق أيديهم، هذا أبو جهل لم يرتض إلّا بقتله فقد لعنه الله وأخزاه وكان عاقبته في الدنيا الخزي والهوان بأن قتل في بدر، وأما في الآخرة فالعذاب الشديد نعوذ بالله، استعدوا لقتله من ليلتهم وأتاه جبريل يخبره بهم وأن لا يبيتَ في بيته وقد أذن الله له في الهجرة إلى المدينة، فلما كان وقت العَتَمة وهي بعض ثلث الليل الأول اجتمعوا على بابه يرصدونه متى نام فيثبون عليه، أو يخرج فيضربونه بسيوفهم فأمر علياً عليه السلام أن ينام على فراشه ويتشح ببرده الأخضر، وأن يتخلف عنه ليؤديَ عنه من الودائع إلى أهلها إذا نجاه الله، فامتثل أمره فكان أول من بذل نفسه ابتغاء مرضاة الله وَوَقى بنفسه رسول الله وباهى الله به ملائكته في تلك الليلة.

روي أن الله أوحى إلى جبريل وميكائيل فقال: هل أحد منكما يهب عمره لصاحبه فكلاهما امتنعا من ذلك قال: فانزلا إلى عليّ الذي فدى بنفسه أخاه فنزل جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وقالا: بخ بخ لك يابن ابي طالب فقد باهى الله بك ملائكته، خرج رسول الله وهم يرصدونه فأخذتهم نومة، فأخذ قبضة من تراب وجعل ذلك على

رؤوسهم وهو يتلو قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾[يس:٩] فقاموا من غشيتهم فجعلوا يطلعون عليه فيجدونه نائماً فقالوا: لا عليكم هذا محمد نائم فأقاموا على الباب يرصدونه فلما طلع الفجر قام عليٌّ فقالوا: أين صاحبك فقال: لا أدري ونجاه الله من سطوتهم فمنعهم الله أن يضربوا علياً وهو نائم ولا بعد قيامه وحماية الله فوق كل حماية وعلموا أن النبي قد نجا منهم وسقط في أيديهم.

ولقد كانت قريش تحسب لهجرة النبي ألف حساب لما ذكرناه آنفاً ورد الله كيدهم في نحورهم، أما رسول الله فخرج وقصد غار ثور وهو جهة يمن لم يكن يخطر بالبال، وجاء أبو بكر إلى علي فأخبره وقال: أدركه، وقيل: إنه مر عليه ولم يعلم بهما أحد إلا عامر بن فهيرة وعبد الله بن أبي بكر فكان يرعى غنم أبي بكر وكان في الليل تأتيهما أسماء بنت أبي بكر بالطعام ويمرون بالغنم لتمحوَ الأثر وأقاما بالغار ثلاثة أيام وكانت قريش تحث في الطلب البالغ لأنها قد أحست بالخطر، أقبل فتيان قريش بسيوفهم وعصيهم يبحثون في كل جهة وفي كل جبل وفي كل ناحية، لقد وصلوا جنب الغار ولقوا راعياً وسألوه فكان جواب الراعي قد يكونان في الغار وإن كنت لم أر أحداً أمّه، فسمع أبو بكر فتصبب عرقاً وخاف خوفاً شديداً حين سمع الراعي وخاف أن يقتحموا الغارَ فمسك أنفاسه ولم يبق به حراك، وكان أحدهم قد تسلل إلى الغار فرجع فقالوا: ما بالُك فقال: إن عليه العنكبوت من قبل ميلاد محمد وقد رأيت عليه حمامتين في بابه فعرفت أن ليس أحدٌ فيه، فمحمد يزداد في

الصَّلاة والذكر وأبو بكر يزداد خوفاً وفَرَقاً فيلتصق بمحمد ويلصق به نفسه وقال هامساً لرسول الله: لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا فقال: لا تحزن إن الله معنا وما ظنك باثنين الله ثالثهما، وزاد الباحثين إقناعاً أنه ليس في الغار أحدٌ أن شجرة حول الغار تدلَّت غصونها على باب الغار فالعنكبوت والحمامتان والشجرة ثلاث معجزات لرسول الله وحصولُ هذه كانت في وقت قصير نسج العنكبوت والحمامات والشجرة كلها وجدت لأنهما دخلا في الغار ولم يكن شيء مما ذكر فهذه معجزات عظيمة. تأمل نصر الله لنبيه.

ولما مضت الثلاثة الأيام وسكنت الأبحاث والبواعث استأجرا بعيرين لهما ومعهما خِرِّيت[1] ليعرفهما الطريق التي يسلكها وهو عبد الله بن أُرَيْقط فأخذ بهما طريقاً غير التي يسلُكُها الناس تعميه وذلك إلى طريق الساحل ولكن قريشاً لم يسكن لها بال فهم يعتبرون أن محمداً أشد الأعداء لهم فبذلوا لمن جاء به مائة بعير، هذه مادة تستهوي القلوبَ وتغري النفوسَ لكسب هذه المادة ولا يزالون يسألون فعسى بمن يأتي لهم بخبر وإذا رجل يخبر أنه رأى ركب ثلاثة مروا عليه لم يعرفهم نزلوا إلى الساحل كان سراقة بن مالك حاضراً فهو ينتهز الفرصة ويقول: ما هم غير محمد ورفقته ولكن توجه إلى بيته وامتطى فرسه وأخذ سلاحه وخرج إلى الناحية التي ذكر الرجل وتبعهم وإذا هم قيد بصره قد رآهم فكبا به فرسه أول مرة ثم ثانية إلى أن كاد أن يدركهم فساخت قوائم فرسُه في أرض صلبة فعرف أنه هالك ولا يفوز بشيء فقال: الأمان خلصني يا محمد ولك عهد الله أن أردّ عليك الطلب، فخلصه النبي ثم عرض

(١) الدليل الحاذق. تمت قاموس.

عليهم طعاماً فقالوا: لا حاجة لنا ولكن رد علينا الطلب فاستعد ورجع مكة وأصبح عدواً لقريش وبات معاوناً هكذا شأن النبوة ولا قوة إلا بالله.

انطلق رسول الله هو وصاحبه يقطعان بطون تهامة في قيظ محرق تتلظى له رمال الصحراء وهم يواصلون السير ليلاً ونهاراً عناية وحراسة تحوط بهم، والمعجزات تترى ومن ذلك قصة أم مَعْبَد وذلك أنهم رأوا خيمة في الصحراء في وقت الهاجرة فقصدوها لما بِهِم من العطش والنصب[1] فإذا هي خيمة أم معبد فطلبوا منها ماء فلم يجدوا شيئاً فطلبوا منها لبناً فلم يجدوا شيئاً وكان هناك شاة فقالوا: هذه الشاة، فقالت: ما خلفها عن الغنم إلا العجز، فمسحها رسول الله ودعا فدرَّت بلبن كثير شربوا كلُّهم فتعجبت أمُّ معبد وكانت تخبر بذلك، ومنها قصة الشجرة وهي عوسجة كانت عند الخيمة فمج رسول الله فيها فكبرت وصارت من أعظم الشجر كِبَراً وكانت تثمر ثمراً غيرَ معهود ولها قصة طويلة تركنا ذلك اختصاراً، لقد غادر رسول الله مكة مسقط رأسه وهو آسف لفراقها وفراق قومه بعد أن صَبَر على أذاهُم فغادَرَهم ذلك النور الساطِع والعلم الواسع والهمة العالية والنفس الأبية والشخصية المحبوبة والوجه المشرق دائم الابتسام والخُلُق العظيم واللسان الذي لا ينطق عن الهوى.

---

(١) المشقة والتعب.

وصوله المدينة صلى الله عليه وآله وسلم

إن الرسول بهجرته قد ترك مكة في ظلام دامس فلما وصل المدينة أشرقت أنواره في أرجائها فخرج القوم يستقبلونه وقد غمرهم البشْر والسرور والفرح والحبور ويتسابقون لمشاهدة وجهه المشرق ويعبرون بالنغمات التي تدل على موقف عظيم ويقولون:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا جئتَ بالأمر المطاع

وَصَلَ رسول الله يوم الاثنين (١٢) ربيع الأول قريب الظهر ونزل قُبَاء وهي محلة تقرب من المدينة بنحو ميلين ومكث بها إلى يوم الخميس وأسس المسجد الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿**لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ**﴾ [التوبة:١٠٨]، وقدم عليٌّ ومعه الفواطم وأم أيمن وولدها وجماعة من ضعفاء المؤمنين بعد أن أدى الودائعَ وكان يسير ليلاً ويكمن نهاراً وقد ورمت قدماه فاعتنقه النبي وبكى رحمة به لما بقدمه من الورم وتفل في يديه ومر بهما على قدميه فلم يشكهما بعد ذلك ثم ركب النبي يوم الجمعة يريد المدينة وأدركته صلاةُ الجمعة في بني سالم بن عوف فصلى هنالك بمن معه من المسلمين وكانوا نحو مائة رجل وهي أول جمعة صلاها بالمدينة وأول خُطبة خطبها في الإسلام ثم ركب

راحلته يريد المدينة وأرخى زمامَها ولا تمر بقوم إلا ويقولون: هلمّ يا رسول الله إلى العُدة والعِدة فيقول: «اتركوها فإنها مأمورة» فبركت في مربد لغلامين يتيمين وهما سهل وسهيل ابنا عامر من بني النجار ولم ينزل عنها النبي ثم قامت وبركت عند باب أبي أيوب الأنصاري فدعا باليتيمين وساومهما وقالا: هي لك يا رسول الله من دون ثمن، فلم يرض ودفع لهما عشرة دنانير وبقي في بيت أبي أيوب حتى بنى المسجد وبنى حجرةً عند المسجد، وبنى رسول الله المسجد من اللّبن وكان مسجداً ليس بالكبير ولا الصغير على قاعدة من الحجارة وقواعده من النخل وسقفه من جريد النخل.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ولد النبي يوم الاثنين ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين وتنبأ يوم الاثنين ووصل المدينة يوم الاثنين وقُبض يوم الاثنين وابتدأ التاريخ الإسلامي من هجرة رسول الله من مكة إلى المدينة إلا أن التاريخ ابتدأ من أول شهر محرم قبل الهجرة بشهرين.

ما نزل من القرآن في الهجرة

قال تعالى في مطاردة قريش لقتله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[الأنفال:٣٠] وقوله عزوجل: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة:٤٠]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾[الطور:٣١]. نشير إلى الخطبة التي خطبها يوم الجمعة في بني عوف بن سالم لما فيها من الفوائد العظيمة باختصار قال:

«الحمد لله نحمده ونستعينه وأستغفره وأستهديه وأؤمن به ولا أكفره وأعادي من يكفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى والنور على فترة من الرسل وقلة من العلم وصلابة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الأجل من يطع الله فقد رشد ومن يعصه فقد ضل ضلالاً بعيداً. وأوصيكم بتقوى الله فإنها خير ما أوصى به المسلمُ المسلمَ فاحذروا ما حذَّركم الله من نفسه لا أفضل من ذلك نصيحة فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله على السر والعلانية فإن من يتق الله يكفر عن سيئاته ويعظم أجره وجاهدوا في الله حقَّ جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم

في الدين من حرج وأكثروا ذِكرَ الله واعملوا لما بعد الموت فإنه من يُصْلِح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. انتهى باختصار ولم نوردها كلَّها من أجل الاختصار وقد أوردنا منها ما فيه الموعظة والكفاية وبالله التوفيق.

مسجد رسول الله

إن المساجد هي عنوان الإسلام وبيت لعبادة الله وهي رمز لبناء الإسلام وهي بيوت الله بتسمية الله تعالى ومن زارها فقد زار الله وحق على المزار أن يكرم زائره، من أجل ذلك كان أول عمل لرسول الله هو بناء المسجد لتقام عبادة الله فيه فكان يعمل بيده الشريفة ويحث الناس، قال بعضهم: كنا نحمل لبنة لبنة وعمار يحمل لبنتين فرآه النبي فكان ينفض التراب عنه ويقول: «ويح عمار تقتله الفئة الباغية». وكان طوله مما يلي القبلة إلى مؤخرة مائة ذراع وجعل له ثلاثة أبواب، فلما كثر الناس أمر رسول الله باتخاذ عريش يظلهم من الشمس وكان يقول عريش كعريش أخي موسى عليه السلام وكان ينقل معهم اللَّبن ويعمل بيده ولما تم بناء المسجد بنى له حجرتين لزوجته عائشة وسوَدة على صورة بناء المسجد من اللَّبن وجريد النخل ولما تزوج بنى لكل زوجة حجرة وكان رسول الله يخَطب إلى جذع يتكىء عليه فقال بعضهم: يا رسول الله نجعل لك منبراً، قال: «إن شئتم» فصنعوا له منبراً بثلاث درَج وكان من شجر الأثل فلما خطب عليه وترك الجذع حنَّ كحنين الناقة على ولدها فنزل فمسكه أو فضمه فسكت وهذه من معجزاته، وحديث حنين الجذع مشهور رواها بضعة عشر من الصحابة.

صرف القبلة إلى الكعبة

لما هاجر إلى المدينة كان يتوجه إلى بيت المقدس نحو ستة عشر شهراً وكان يحب أن يصلي إلى الكعبة لأنها قبلة أبيه إبراهيم عليه السلام، وقيل: إن اليهود كانوا يقولون: يخالفنا ويتبع قبلتنا فقال: «يا جبريل وددت أن أصرف وجهي عن قبلة اليهود قال إنما: أنا عبدٌ فادع ربك وسلْه» وكان كلما صلى يرفع إلى السماء ينتظر أمر الله ونظره إلى السماء لأنها قبلة الدعاء فنزل عليه قوله تعالى: ﴿**قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا**﴾[البقرة:١٤٤] فتوجه إلى الكعبة إلى الميزاب ونزل قوله تعالى: ﴿**سَيَقُولُ السُّفَهَاء مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ**﴾ [البقرة:١٤٢] الآية، وهذا رد على اليهود والمنافقين الذين ساءهم ذلك فقيل أول ما نسخ في القرآن القبلة، وكان ذلك في شهر شعبان (١٥) على راس ثمانية عشر شهراً من الهجرة وقيل: ستة عشر شهراً.

فريضة الصيام

في هذه السنة نزلت فريضة الصيام بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾[البقرة:١٨٣] الآيات مع قوله: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[البقرة:١٨٤] الآية، وهذه آية التخيير بين الصيام أو الإطعام ثم نزل قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾[البقرة:١٨٥] إلى قوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[البقرة:١٨٥] الآية فنسخ التخيير وهذا قول بعض المفسرين وفرض الفطرة زكاة للنفس وكان يأمر بها في أواخر شهر رمضان ويأمر بإخراجها قبل الخروج إلى الصلاة.

فرض الزكاة

فرضت الزكاة في السنة الثانية من الهجرة نزل قوله تعالى: ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[البقرة:٢٧٧] وقوله: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[الذاريات:١٩] وقوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾[التوبة:١٠٣] الآية، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾[التوبة:٦٠] الآية، فهذه من أعظم نِعَمِ الإسلام ومحاسنه لسد خَلة[1] الفقير ولاقتضاء الأخوة الدينية والمساواة وحصول العطف والرحمة ولأن الفقير إذا لم يتحصل على شيء من المواساة فقد يتوصل إلى السرقة والنهب وغير ذلك والله أعلم بمصالح عباده وهو العزيز الحكيم.

---

(١) بفتح الخاء الحاجة والفقر. تمت.

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

آخى رسول الله بين المهاجرين والأنصار ليحصل التعاون والتكاتف والألفة الدينية وذلك بعد قدومه المدينة بخمسة اشهر وبادَرَ إليها النبي لما فيها من الفوائد العظيمة، لتزول وحشة المهاجرين ويؤنسهم من فرقة الأهل والعشيرة ويشد بعضهم أزر بعض وليفهموا أن المؤمنين يدٌ واحدة تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وتحصل المعاونة على الحق وعلى الجهاد وغير ذلك من الفوائد العظيمة التي تقتضي الألفة والتعاطف وقيل إنه آخى بينهم حتى في التوارث حتى نزل قوله تعالى: ﴿**وَأُوْلُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ**﴾[الأحزاب:٦] نسخت المواريثة، قيل: الذين وقع بينهم المؤاخاة في بادئ الأمر خمسة وأربعون من المهاجرين مع مثلهم من الأنصار وقيل: أكثر، هذا وأخذ بيد علي وقال: هذا أخي في الدنيا والآخرة، فبعد ذلك صاروا إخوة في الدين وقام الأنصار بالاحترام والإكرام للمهاجرين على حداثة عهدهم حتى صاروا مثلاً يضرب بهم في التعاون والإيثار بالأموال والأنفس، روي عن ابن عباس أن رسول الله قال للأنصار: إن شئتم قسمتم للمهاجرين في أموالكم ودُوركم ونقسم لكم من الغنائم كما قسمتم لهم، وإن كانت الغنيمة لهم فلكم أموالكم ودوركم فقالوا: إنا نشاركهم في أموالنا ودورنا ولا نشاركهم في الغنيمة فأنزل الله فيهم ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[الحشر:٩].

أهل الصُّفَّة

أهل الصفة من المهاجرين الذين تأخرت هجرتهم ولم يكن لهم منازل يسكنونها ولا عشائر وبلغوا نحو أربعمائة وكانوا في مكان مظلل يسكنون ويتعلمون القرآن ويصومون ويخرجون في كل غزوة وكان يدعوهم بعد صلاة العشاء ويعرفهم على أصحابه وتتعشى طائفة منهم مع رسول الله حتى جاء الله بالغنى وكان يؤثر أهل الصفة على نفسه وأولاده حتى إن ابنته فاطمة عليها السلام طلبت منه خادماً وشكت ما تلقى من التعب من الرحى وخدمة البيت وكانت سمعت بصبيٍّ جاء فقال: يا بنية لا أعطيكِ وأهل الصُّفَّة [1] تطوى بُطونهم من الجوع وأمرها أن تستعين بالتسبيح والتحميد والتكبير.

(١) من فقراء الصحابة كانوا يبيتون في مسجده ﷺ وهي موضع مظلل من المسجد.

الفصل الرابع
في الجهاد

لما هاجر لا زالت القبائل تتوارد والوفود تتابع وكثر المسلمون وتكونت الدولة الإسلامية، أذن له بالجهاد وقتل من لم يدخل في الإسلام وذلك في اثنتي عشرة خلت من شهر صفر في السنة الثانية من الهجرة وقد مكث يدعو كفار قريش بمكة ثلاث عشرة سنة يدعوهم إلى الإسلام وتَرْكِ عبادة الأصنام مع الصَّبر على ما كان يلقاه من الأذى.

قام جماعة من الصحابة فيهم عثمان بن مظعون أخو رسول الله من الرضاعة وسعد بن أبي وقاص فقالوا: يا رسول الله كنا في عزٍّ ونحن مشركون فلما أسلمنا صرنا أذلة فأذن لنا في الجهاد فقال: كفوا أيديكم منهم فإني لم أؤمر بقتالهم، فلما كثر أتباعه وقوي الإسلام وأصرَّ المشركون على الكفر والتكذيب أذن الله لهم بالقتال وأول ما نزل في أمر القتال قوله تعالى: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٍ ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ، الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ**﴾[الحج:٣٩-٤١] هذه الآيات نزلت بالإذن بالقتال بعدما نُهي عنه في نيف وسبعين آية.

بعث حمزة بن عبد المطلب

كان أول غزوة أمر بها رسول الله غزوة حمزة بن عبد المطلب وذلك في شهر رمضان على رأس سبعة أشهر من الهجرة في ثلاثين راكباً من المهاجرين ولم يبعث أحداً من الأنصار في الغزوات حتى وقعت بدر ثم خرج حمزة ومن معه يعترضون عِيراً لقريش جاءت من الشام متوجهة إلى مكة وكان فيها أبو جهل مع ثلاثمائة راكب ولما بلغ ساحل البحر من ناحية العيص من بلاد جهينة التقوا وتصافوا للقتال ثم حجز بينهم مُجدي بن عمرو الجهني وكان مصالحاً للفريقين فانصرف القوم بغير قتال.

سرية عبيدة بن الحارث

وفي شهر شوال في رأس ثمانية أشهر بعث عبيدة بن الحارث بن المطلب إلى بطن رابغ وعقد له لواء أبيض وحمله مسطح بن أثاثة وكانوا ستين رجلاً من المهاجرين فلقي أبا سفيان بن حرب في مائتين من أصحابه وهو على ماء ببطن رابغ على عشرة أميال من الجحفة ولم يسلوا سيوفاً وكانت بينهم المناوشة ورمى سعد بن أبي وقاص رجلاً وكان أول سهم رمي به في الإسلام.

سرية سعد بن أبي وقاص

وبعث سعد بن أبي وقاص في ثمانية من المهاجرين يريدون أن يعترضوا عِيراً لقريش ولكنهم لم يدركوها بل فاتتهم فرجعوا إلى المدينة.

غزوة وَدَّان

هذه الغزوة أول مغازيه التي خرج فيها بنفسه قال علي بن الحسين عليه السلام كنا نتعلَّم مغازي رسول الله كما نتعلم السورة من القرآن، وعن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص كان أبي يعلمنا المغازي والسرايا ويقول: يا بني أنها شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها فهذه أول غزوة غزا فيها رسول الله وهي غزوة ودان وهي قرية جامعة من أعمال الفرع وبعضهم يسميها غزوة الأبواء وهما موضعان متقاربان خرج إليها رسول الله في شهر صفر على رأس اثني عشر شهراً من الهجرة يريد عِيراً لقريش وبني ضمرة فلمَّا لقي بني ضمرة عقدوا بينهم صُلْحاً وكان خروجه في ستين راكباً وكانت المصالحة بينهم أنهم لا يغزون ولا يكثرون عليه جمعا ولا يعينون عليه عدواً وإن لهم النصر على من رامهم بسوء وإن دعاهم لينصروه أجابوا وعقد ذلك سيدهم مَخْشِي بن عمرو الضمري وكتب بينهم كتاباً فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من رسول الله لبني ضمرة أنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم وأن لهم النصر على من رَامَهم بسوء بشرط أن يحاربوا في سبيل الله ما بَلَّ صوفة وأن النبي إذا دعاهم لنصر أجابوه وعليهم لذلك ذمة الله ورسوله وكان لواؤه أبيض ومعه حمزة رضي الله عنه واستخلف على المدينة سعد بن عبادة وكانت غيبته خمس عشرة ليلة.

غزوة بُواط

خرج فيها الرسول في شهر ربيع الأول في أول السنة الثانية وكان حامل اللواء سعد بن أبي وقاص خرج فيها الرسول في مائتين من أصحابه حتى بلغ بواط يعترض فيها عِيراً لقريش فيها أمية بن خلف الجُمَحِي ومائة رجل من قريش ففاته ويكفي من هذه الغزوات تخويف قريش بعد إيذاء رسول الله وأصحابه ولله الحمد.

غزوة بدر الأولى وهي الصُغرى

خرج الرسول يطلب كرز بن جابر الفهري وكان حامل لوائه علي بن أبي طالب واستخلف على المدينة مولاه زيد بن حارثة وكان كُرز بن جابر قد أغار على سَرْح المدينة فساقه فطلبه الرسول حتى بلغ وادياً يقال له سَفَوان من ناحية بدر وفاته كرز فلم يلحق فرجع رسول الله إلى المدينة أما كرز بن جابر فأسلم بعد ذلك وحَسُنَ إسلامه وولاه رسولُ الله الجيشَ الذي بعثه في إثر العُرَنيّين الذين قتلوا الراعي وساقوا الإبل أي إبل الصدقة وذلك سنة ثمان من الهجرة.

غزوة العُشَيرة

كانت غزوة العشيرة في شهر جمادى الأولى من السنة الثانية من الهجرة وحامل اللواء حمزة بن عبد المطلب وكان اللواء أبيض واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي وخرج في مائة وخمسين وقيل: مائتين ممن انتدب لأنه لم يُلْزم أحداً على الخروج وخرجوا على ثلاثين بعيراً مُعترضاً لقريش وكان قد بلغهم خروجها من مكة وفيها أموال لقريش، فبلغ العُشَيرة فوجد العير قد مضت قبل ذلك وانتظر لعودها من الشام ولكنها ساحلت على البحر وبلغ قريشاً فخرجوا والتقوا برسول الله فواقعهم وقتل منهم وهذا أول نصر على قريش في مدة قريبة بعد الأذى منهم وفي هذه الغزوة كنّى رسول الله علي بن أبي طالب عليه السلام (بأبي تراب) وذلك أنه رآه نائماً في ريغة من التراب الدقيق فقال: اجلس أبا تراب فجلس وكانت هذه أحب الأسماء إليه وفي هذه الغزوة وادَعَ بني مدلج من بني ضمرة ثم رجع إلى المدينة وكانت قريش قد جمعت أموالها في تلك العِير يقال: إن فيها خمسين ألف دينار وألف بعير وكان قائدها أبا سفيان وثلاثين رجلاً فيهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل.

غزوة بدر الكبرى

كانت في ١٧ شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة وموقعها قريب من ساحل البحر بنحو مرحلة ويسمونها بدر حنين وهي بين جبال من الشمال إلى الشرق جبال وعرة ومن الجنوب آكام وكانت الغزوة يوم الجمعة وهي التي نصر الله فيها رسوله وأعز جنده وكان سببها قتل عمرو الحَضرمي الذي قتل في سرية عبد الله بن جحش والسبب الثاني وهو الصحيح أن أبا سفيان قدم من الشام في عِير لقريش عظيمة بأموال كثيرة لما سمع بها رسولُ الله ندَب المسلمين إليهم وقال: هذه أموال الناس اخرجوا إليها فانتدب الناس وقد كان أبو سفيان قد سمع أن رسول الله يريده فحذر واستأجر ضمضم بن عمرو إلى مكة يخبرهم الخبر ويستنصرهم فلما بلغهم خرجوا مسرعينَ ولم يبقَ أحد من أشراف مكة إلا أبو لهب وقد استأجر غيره مكانه وكان الذي خرج من قريش نحو ألف رجل منهم بستمائة دارع ومعهم ١٠٠ فرس ومائة درع غير درع المشاة وكان حامل لوائهم السائب بن يزيد ثم أسلم وحسن إسلامه وهو الأب الخامس للشافعي وخرج معهم سبعون بعيراً ومعهم القيان والمغنيات يضربن الدفوف وهم في غاية من البطر والخيلاء اعتماداً على كثرتهم كما قال تعالى: ﴿**وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيط**﴾[الأنفال:٤٧] وفيهم الأشراف والرؤساء وأنزل الله فيهم ﴿**إِنَّ الَّذِينَ**

كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللَّـهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾[الأنفال:٣٦] وكان الذين خرجوا مع رسول الله (٣١٣) وحين عدهم رسول الله فرح وقال كعِدَّة أصحاب طالوت الذين خرجوا معه وخرجت الأنصار يوم بدر وكان عِدَّتهم (٢٠٧) وسائرهم من المهاجرين وكانت الإبل سبعين وخمسة أفراس وقيل: اثنان فقط ولما أراد رسول الله الخروج لبس درعه ذات الفضول وتقلد سيفه العضب ورد رسول الله من لم يبلغ الحُلُم وكان حامل اللواء مصعب بن عمير وكان أمام رسول الله رايتان سوداوان كان علي عليه السلام حامل إحداهما التي يقال لها العقاب وكان عُمر علي آنذاك عشرين سنة والأخرى راية الأنصار مع سعد بن معاذ واستعمل أبا لُبابة والياً على المدينة بعدما رده من الطريق واستعمل ابنَ أم مكتوم على الصلاة بالناس، بعث رسول الله رجلين يتجسسان أخبار قريش فمضيا حتى نزلا بدراً قريباً من الماء واستقيا وسمعا جاريتين تطالب إحداهما الأخرى في دَيْن فقالت: العِير ستأتي غداً وأعمل معهم وأقضيكِ، فأتيا رسول الله وأخبراه بما سمعا، وكان أبو سفيان لما بلغه خروجُ رسول الله بمن معه قصد ساحل البحر وترك بدراً وأسرع في السير فنجا فلما رأى أنه قد نجا أرسل إلى قومه فقال: قد نجى الله عيركم فارجعوا إلى مكة ولكن أبا جهل استغاظ واستكبر ورمى قومه بالجبن إذا رجعوا فلما بلغ أبا سفيان كلامه قال: هذا بغي والبغي منقصة لأن القوم ما خرجوا إلا لنجاة أموالهم وقد نجَّاها الله فرجع من قريش بنو زهرة وكانوا نحو المائة وقيل:

ثلاثمائة وقالوا: دعوا ما يقول أبو جهل.

نزلت قريش بالعدوة القصوى من الوادي ونزل المسلمون على كثيب أعفر تسوخ فيه الأقدام وحوافر الخيل وسبق المشركون إلى ماء بدر وحفروا قلباً يشربون منه وتشرب دَوابهم وأدرك المسلمون النعاس وأصبحوا لا يصلون إلى الماء ولكن الله أرسل عليهم مطراً فشربوا واتخذوا الحياض على عُدْوَة الوادي واغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وأطفأ المطرُ الغبارَ ولَبّد الأرض وثبّت أقدامَهم وأنزل الله قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ﴾[الأنفال:١١]، بات رسول الله تحت شجرة يصلي ويكثر في سجوده قوله: «يا حي يا قيوم» ثم أشار الحُبَاب بن المنذر أن يتقدمَ رسول الله يتقدم إلى قريب من الماء فأجابه رسولُ الله وقَبِلَ مشورته وكان يقال للحُبَاب ذو الرأي وقال سعد بن معاذ: نبني لك يا رسولَ الله عريشاً تكون فيه ونُعدُّ عندك ركائبك فإن انتصرنا فالذي نحب، وإلا جلست على ركائبك ولحقت بمن وراءنا إلى آخر ما تكلم به من المحبة والوقار وصدق المودة والإخاء ثم بُني له العريش في مكان مرتفع فدخله ينظر المعركة ودخل معه أبو بكر.

وخطب عتبة بن ربيعة ينصح قريشاً بالرجوع إذ لا فائدة لهم في القتال فأصر أبو جهل على القتال وذلك للمنيّة المُعَدّة له والحمد لله.

استشار رسول الله أصحابه أوّلًا قبل المعركة وقال: اختاروا أن تذهبوا للعِير أو للمعركة وأخبرهم بمسير قريش وقال: إن الله وعدكم إحدى الطائفتين إما العِير وإما قريش وكانت العِير أحب إليهم ليستعينوا بها وتكلم المهاجرون وأحسنوا وكان رسول الله يرى أن الأنصار لا يرون وجوب النصرة إلّا إذا دهمه العدو فلما قال لهم: أشيروا عليّ، فقال سعد بن معاذ رضي الله عنه وهو سيد الأوس بل هو سيد الأنصار: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله، قال: أجل، قال: قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهوداً ومواثيق على السمع والطاعة فامضِ يا رسول الله ونحن معك فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن نلقى عدونا غداً إنا لصبُر عند الحرب صُدُقٌ عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسُر رسول الله وقال: «سيروا على بركة الله» وهذا دليل على الإخلاص والوفاء وسبحان الله هذه هي الرجولة والبسالة والإيمان الصادق. اهـ.

خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي وكان شرساً سيء الخلق فقال أعاهد الله فعاهد الله لأقتحمنَّ الحوض الذي مع المسلمين فأشرب منه وأهدمنّه فتقدم فصده حمزة فقطع رجله ثم قام فقتله حمزة فكان أول قتيل من المشركين في هذه المعركة وبعد ذلك تقدم عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة حتى انفصلوا من الصف فخرج إليهم فتية من الأنصار فلم يقبلوهم فتقدم حمزة وعلي بن أبي طالب

وعبيدة بن الحارث فقتل حمزةُ شيبة وقتل عليٌّ الوليدَ وعتبة والحارث كل منهما ضرب صاحبه فأقبل حمزةُ وعليٌّ وذفَّفَا على عتبة وأخذا الحارث وقد أثرت فيه الضربة فقُتِل رحمه الله وهو أول قتيل في الإسلام في أول مبارزة ونزل فيهم قوله تعالى: ﴿**هَـٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ**﴾[الحج:١٩] الآيات في سورة الحج.

ولما وقعت هذه خرج رسول الله يسوي صُفوفَ أصحابه فكان سواد بن غَزِية قادماً فأخَّره النبي ودقه في بطنه فقال: يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدْني، فكشف رسول الله بطنَه وقال: استَقِدْ فاعتنق سوادٌ رسول الله وقبَّلَ بطنَه وقال: ما حملك على هذا قال: يا رسول الله قد حضر ما ترى فأريد أن يكون آخر العهد بك وأن يمس جلدي جلدك فدعا له رسول الله بخير وكان شعار المسلمين (يا منصور أمت).

تزاحم الناس ودنا بعضهم من بعض وأقبل بعضهم يريد أن يشرب من حوض المسلمين فقال: دعوهم يشربوا فما شرب منه أحد إلا قتل إلا حكيم بن حزام فإنه أسلم وأمر رسول الله أن لا يحمل أحدٌ على المشركين حتى يأمرهم وأخذته سِنَةٌ فاستيقظ وقد أراه الله في منامه المشركين قليلاً فأخبر أصحابه وكان تثبيتاً لهم ثم خرج رسول الله وأمرهم بالقتال وأخذ حفنة من تراب ورمى به المشركين وقال: شاهت الوجوه فلم يبق أحد من المشركين إلّا دخل في عينه وأنفه من تلك القبضة لا يدري أين يتوجه فهُزِموا وأردفهم المسلمون يقتلون ويأسرون

وإلى هذا أشار قولُه تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾[الأنفال:١٧] وخرج رسول الله وهو يقول: «سيهزم الجَمْعُ ويولون الدبر» وقال: «والذي نفس محمد بيده ما يقاتلهم اليوم رجل فيُقْتَل صابراً محتسباً إلا أدخله الله الجنة» فسَارَعُوا إلى القتال واقتتل الناس قتالاً شديداً وكان ابتداء المعركة صبح يوم الجمعة وانهزم المشركون وقتَ الظهيرة وبلغ عدد قتلى المشركين سبعون رجلاً وعدد الأسرى أربعة وسبعون، واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً ثمانية من الأنصار وستة من المهاجرين، قال أمير المؤمنين عليه السلام: كنت أقاتل يوم بدر وأرجع إلى رسول الله وهو يقول «يا حي يا قيوم» لا يزيد على ذلك، وهذا يدل على فضل هذا الدعاء، وقُتِلَ في هذه الوقعة فرعون قريش أبو جهل اللّعين الذي كَثُرَ أذاه لرسول الله قتله معوذ بن عفراء بعد أن قطع ابنُ الجموح رجلَه واحتز رأسَه عبدُ الله بن مسعود وربط أذنه وسحبه إلى رسول الله وذلك أن عبد الله بن مسعود أتى أبا جهل يوماً في مكة فقطع من أذنه قال رسول الله لما وقف عليه مقتولاً: «الحمد لله الذي أخزاك يا عَدُوَّ الله هذا كان فرعون هذه الأمة ورأس الكفر» قال تعالى في قصة بدر: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[آل عمران:١٢٣] وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾[الأنفال:٩] الآيات وغير ذلك.

أمر رسول الله بالقتلى من المشركين أن ينقلوا من مصارعهم إلى القليب وذلك كان أيسر من دفنهم ووقف رسول الله على القليب وقال: «يا أهل مكةَ بئس العشيرة أنتم كذبتموني وصدقني الناس» ثم عدد بعضَ أهل القليب يناديهم بأسمائهم فقال: «هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً» فقال عمر: كيف تكلم أجساداً لا أرواحَ فيها فقال: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني».

كانت وقعة بدر أول انتصار للمسلمين في حروبهم وإنها لوقعة لها أثرها في نفوس المسلمين إلى يوم الدِّين لأنها بمثابة الحجر الأساسي للإسلام في انتصار رسول الله في الوقائع المقبلة وهو بدء تحول كبير في تاريخ الإسلام وتاريخ العالم. في هذه الوقعة انهزم أهل مكةَ الذين كانوا لا يبالون ويستضعفون رسول الله وظهر منعهم في القتال ونكس الله تعالى كبرهم على كثرة عددهم وعُدَّتِهم، وإن في هذه الوقعة معجزات عظيمة من نزول الملائكة للإمداد ونزول المطر وما أخبر به رسولُ الله قبل الوقعة وأن لهم إحدى الطائفتين ورميه إياهم بالتراب وإرسال الله الرياح وغير ذلك وقد بذل المهاجرون والأنصار أنفسهم للجهاد وحماية رسول الله وظهر صدقُهم وشدةُ عزيمتهم وصدقهم وكفاهم قولُ الله تعالى: ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ**﴾[الفتح:٢٩] ، وحينما اختاروا الجهاد على غنيمة العير رحمهم الله تعالى فذلك برهان صحيح على صدق إيمانهم ووفائهم وكفى بذلك فخراً. اهـ.

رجوع النبيّ إلى المدينة

رَجع رسول الله إلى المدينة هو وأصحابه رافعين رؤوسهم حامدين الله وشاكرين له على ما مَنَّ عليهم بالنصر والتأييد وخرج أهلُ المدينة يتلقونهم ويهنونهم بما فتح الله عليهم بالنصر والتأييد، والصبيان يهتفون بقولهم طلع البدر علينا من ثنيات الوداع... إلى آخرها.

وقَسّم رسولُ الله الغنائم وكانت (١٥٠) من الإبل وعشرة أفراس ومتاعاً وأنطاعاً وسلاحاً وثياباً وأُدُماً كثيرة ونادى منادٍ: من قتل قتيلاً فله سلبه ومن أسر أسيراً فهو له.

سَمِعت قريش الخبر وقص أبو سفيان بن الحارث ما رأى على أبي لَهَب ففقد رُشدَه ولم يعش بعدها إلا سبع ليال أخذه الجدري مع ما نزل به من الهزيمة لا رحمه الله وبقي أياماً لا يقربه أحدٌ خوفَ العدْوَى حتى أنتن وهذا أول العقوبات والخزي والهوان.

زواج فاطمة من علي عليهما السلام

كان زواج فاطمة من علي عليه السلام في السنة الثانية من الهجرة وهي سيدة نساء العالمين وأمها خديجة بنت خويلد أحب الناس إلى رسول الله وكان عمرها يومئذ خمس عشرة سنة وعمر علي ثمان عشرة أو تسع عشرة سنة قيل: وانقطع نسل رسول الله إلا منها فإن أولاده ماتوا صغاراً، وجعل الله نسله منها ومن علي عليه السلام وتلقبت بفاطمة البتول وَلَدَت لعلي الحسن والحسينَ وزينبَ وأُمَّ كلثوم وتوفيت بعد رسول الله بستة أشهر في شهر رمضان لثلاث ليال مضين من الشهر وكان عمرها ثلاثين سنة وقيل: (٢٩) إلا أنه يلزم أنها لم تبق مع علي إلا نحو عشر سنين فينظر.

غزوة بني سُلَيم

لما رجع رسول الله من غزوة بدر لم يقم إلا سبع ليال وغزا بنفسه بني سُلَيم واستعمل على المدينة سِباعَ بن عُرفُطة الغفاري وهو من مشاهير الصحابة وكان لواؤه أبيض وحامله عَلي بن أبي طالب عليه السلام وبلغ ماءً يقال له الكُدْر فأقام ثلاث ليال وارتفع العدو وهربوا وبقيت إبلهم فغنموها ورجعوا إلى المدينة وكانت خمسمائة بعير.

غزوة بني قَيْنُقاع

قَيْنُقاع اسم لشَعْب من اليهود الذين كانوا بالمدينة وأضيف إليهم سوق كانت بها ويقال: سوق بني قينقاع وهم من موالي الخزرج وحلفاء عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبي بن سَلول وكان عددهم قليلاً وكانت الغزوة في شوال سنة (٣) ما بين وقعة بدر ووقعة (أحد) دعاهم الرسول فأغلظوا في الجواب ولم يراعوا شيئاً من حدود الأدب فحاصرهم الرسول خمس عشرة ليلة لا يطلع منهم أحد حتى نزلوا على حكمه، فربطوا وهو يريد قتلهم وهم (٤٠٠) رجل فقام عبد الله بن أبي بن سَلول المنافق وقال: يا محمد أحسن إلى حلفائي أو إلى مواليّ، فأعرض عنه فأكثر على رسول الله وشغله وقال: «هم لك لا بارك الله لك فيهم»وقيل: قال: «خلُّوهم لعنهم الله ولعنه» ثم أمر بإخلائهم وغنم رسول الله ما كان لهم من مال وسلاح وآلة صناعتهم والذي تولى إخراجَهم عبادة بن الصامت وقد تركوا في منازلهم سلاحاً كثيراً ومن جملة الدروع درع يقال له: السعدية يقال: إنه درع داود أو من صناعته التي لبسها حين قتل جالوت والله أعلم.

قَتْلُ كعب بن الأشرف

كعب بن الأشرف كان رئيساً من بني النضير وكان شاعراً وذا مال وسطوة وكان يهجُو رسول الله والمسلمين ولما انتصر المسلمون ببدر اشتد غضبه وحرَّض المشركين على حرب رسول الله وصار إلى مكةَ يدعوهم للحرب ولا زال يهجو المسلمين في أشعاره ويشبّب بنساء المسلمين فلما كثرت أذيته قال رسول الله: «من يكفيني كعب بن الأشرف» فقال محمد بن مَسْلَمَة أنا أقتله، ثم أتى أبا نائلة فأخبره بما وعد به رسول الله وعباد بن بشر والحارث بن أوس فأتوا إلى رسول الله وقالوا: يا رسول الله لابد لنا من أن نقول، أيْ من أن نكذب فقال رسول الله «قولوا ما بدا لكم فإنكم في حِلّ من ذلك» وكان لابد لهم من التماس الحيلة فدعا لهم رسول الله بالإعانة، فأتوه وطلبوا منه طعاماً وشكوا عليه الفقر بسبب ما نالهم من التعب واتباع رسول الله ليعموا عليه وقالوا: سنعطيك رهناً، وأتوا إليه مرات حتى يثق بهم ثم أتوه في الآخرة ودعوه ليخرج إليهم وكان حديث عهد بعرس فتحدث معهم ساعة فأدخل أبو نائلة يده بين رأسه ويشمها ويقول: ما رأيت كالليلة طيباً ثم أدخلها ثانية حتى تمكن من شعره وأمسكه وقال: اضربوا عدو الله فقتلوه وأخذوا رأسه في مخلاة وأتوا به إلى رسول الله فهذه الحادثة أوقعت الرعبَ في نفوس اليهود. اهـ.

غزوة أحد

(١٥/ شوال سنة ٣ من الهجرة)

أحد هو جبل شمال المدينة سمي بذلك لتوحده عن غيره في صفته ولونه من سائر الجبال بينه وبين المدينة نحو ثلاثة أميال قيل: إنه الموضع الذي دُفِنَ فيه هارون أخو موسى عليهما السلام، وسبب هذه الوقعَة أن قريشاً لما أصيبوا يوم بدر تمالوا مع أبي سفيان وطلبوا منه التجارةُ التي جاءت للاستعانة بها لحرب رسول الله وكانت التجارة باقية في دار الندوة وطلبوا المغنيات والقينات وجمعوا جمعهم من سائر العرب من قبائل كنانة وتهامة وغيرهم حتى بلغ عدتهم (٣٠٠٠) فيهم (٧٠٠) دَارع ومعهم ما يقارب (٢٠٠) فرس وجملة النساء (١٧) امرأة بالدفوف والمعازف أي آلات اللهو والخمور والبغايا وخرجت هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان وهي تقول:

نحن بَنَاتُ طارق
نمشي على النمارق
إن تقبلوا نعانق
أو تدبروا نُفارق
فراق غير وامق

وكلهن يَنحْنَ على قتلى بدر، ويحرضن على القتال وعدم الفرار، وأرسَل العباس إلى رسول الله يخبره بما أجمعت قريش عليه وخرجت

قريش من مكة لخمس مضين من شوال سنة (٣) ومعهم الأحابيش الذين حَالفوا قريشاً، وخرج معهم أبو عامر الراهب في (٧٠) فارساً وسماه الرسولُ فاسقاً وهو أبو حنظلة[1] غسيل الملائكة الذي قتل يوم أُحُد وغسلته الملائكة وسارت قريش حتى نزلوا ببطن الوادي من أحد قريب من ذي الحُلَيفة وتشاور المسلمون في الخروج من المدينة فكان رأي رسول الله عدم الخروج ووافق عبد الله بن أبي ولكن ألحَّ عليه بعض أصحابه فخرج فأصبحوا بالشِّعب يوم السبت للنصف من شوال وكان قد مرَّ على النبي رؤيا قبل خروجه ليلة الجمعة فلما أصبح قال: «إني قد رأيت خيراً، رأيتُ بقراً تذبح ورأيت في ذباب سيفي ثُلْماً ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة وأني مردف كبشاً فأما البقر فناس من أصحابي يُقْتَلون وأما الثلم في سيفي فرجل من أهل بيتي يُقْتَل وأوّلت الدرع الحصينة بالمدينة وأولت الكبش أني أقتل صاحب الكتيبة» وقد صدقت رؤياه فكان الرجل الذي قتل من أهل بيته حمزة رضي الله عنه وقَتَل عليٌّ عليه السلام كبشَ الكتيبة (طلحة بن عثمان العبدري) وكبش القوم سيدهم، فقال لأصحابه: امكثوا في المدينة فإن دخلوا قاتلناهم ورماهم النساء من فوق البيوت وكان ذلك رأي أكابر المهاجرين والأنصار ولكن الذين لم يحضروا بدراً أصروا على الخروج لما فاتهم يوم بدر وقالوا: نخشى أن يرمونا بالجبن وعبد الله بن أبي يقول: يا رسولَ الله

---

(١) لأنه كان حديث عهد بالعرس فخرج وهو جنب مع رسول الله صلى الله عليه وآله في أحد فاستشهد مع شهداء أحد وقيل بأنه الوحيد من شهداء أحد الذي لم تمثل به قريش. تمت.

إن المدينة حصينة ما دخلها عدو لَنا إلا أصبنا منه ولا خرجنا منها إلا أصيب منا. ولكنه ترجح عنده رأي حمزة ومن معه الذين أصروا على الخروج وإن كرهه ابتداءاً وكان أمر الله مفعولاً، ثم صلى بهم الرسول الجمعة ووعظهم وحثهم ثم دخل بيته ولبس لَأْمَتَه[1]، واصطف الناس ينتظرون خروجَه وقال سعد بن معاذ: استكرهتم رسول الله على الخروج فردوا الأمرَ إليه، فلما خرج إليهم قالوا: يا رسولَ الله ما كان ينبغي لنا أن نخالفَك فاصنع ما شئت فقال: «ما ينبغي لنبي إذا لبس لَأْمَتَه أن ينزعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه» فخرجوا أعقابَ صلاة الجمعة وعقد ثلاثة ألوية لواءً للأوس وجعله بيد أسيد بن حضير ولواءً للخزوج وجعله بيد الحُبَاب بن المنذر ولواءً للمهاجرين وجعله بيد علي بن أبي طالب عليه السلام وكان في المسلمين مائة دارع واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ورد الذين استصغرهم نحو سبعة عشر رجلاً وكان عدد المسلمين ألف رجل إلا أن عبد الله بن أُبي رجع هو وثلاثمائة رجل من المنافقين وهو يقول: أطاع الولدان وعَصاني فبقي من المسلمين (٧٠٠) ولم يكن مع المسلمين إلَّا فرسان وعدد المشركين (٣٠٠٠) ثم صلى بهم صبح يوم السبت وصفَّهم وجعل على الرماة عبد الله بن جبير بن النعمان الأوسي وكان الرماة خمسين رجلاً فقال: «احموا ظهورنا لا يأتون من خلفنا وارشقوهم بالنبل فإن الخيل لا تقوى على النبل إنا لا نزال غالبين ما دمتم في مكانكم اللهم أشهد عليهم، ولو

---

(١) أي درعه. تمت.

رأيتم الطير تخطَّفنا»، وفي رواية أنه قال لهم: «فلا تبرحوا من مكانكم حتى أرسل إليكم» ثم تقدموا للقتال فخرج طلحة بن ابي طلحة وكان بيده لواء المشركين فطلب المبارزة فلم يخرج إليه أحد فخرج علي عليه السلام فقطع رجله فسقط وبدت عورته فتركه عائم في دمه فأخذ اللواء أخوه فقتله علي عليه السلام فأخذه أخوه فقتله وهكذا كلَّما حمله واحد قُتِلَ فكان لواء المشركين شؤماً عليهم فقتل أحد عشر رجلاً ممن حمل اللواء وكان اهتمام المسلمين على حامل اللواء بنوع خاص لأنه كبش الكتيبة ولما قتل أصحاب اللواء صاروا كتائب متفرقة فجاس المسلمون فيهم ضرباً حتى انهزموا وولوا مدبرين ولكنها كانت الخديعة. الرماة نزلوا عن موقفهم لما رأوا المسلمين يغنمون وقالوا: لم يبق فائدة للبقاء ولنصِبْ من الغنائم مثلما أصابَ أصحابُنا، فقال لهم عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله قال: لا تبرحوا حتى يؤذن لكم، فثبت عبد الله بن جبير وثبت معه دون العشرة فلما نزل الرماة كر المشركون راجعين وعند ذلك كَرَّ خالد بن الوليد بالخيل وتبعه عكرمة بن أبي جهل فحملوا على من بقي من الرماة فقتلوهم وقتلوا أميرهم عبد الله بن جبير ومثلوا به فوقعت الهزيمة في المسلمين لأنهم خالفوا قائدهم العام فعوقبوا لمخالفته ووقع الاختلاط في جيش المسلمين وارتبكوا وصار بعضهم يضرب بعضاً ولا قوة إلا بالله، ثبت رسول الله في مكانه الذي وصل إليه ولم يتحول شبراً وقت انهزام المشركين ثم وقعت هزيمة المسلمين ووقع الاختلاط بترك المسلمين شعارهم وهو (أمت أمت) ومما

زاد في ارتباك المسلمين حينما صاح بعضهم قُتل محمد واهتز المسلمون إلا الثابتون منهم قالوا: إذا مات محمد فالله لم يمت سنقاتل حتى نموت بعده. وصل العدو إلى قريب من رسول الله ورموه بالحجارة حتى شج وجهه وكُلِمَت[1] شفته السفلى ودخلت حلقتا المِغْفَر في وجهه وسقطت ثناياه وامتص مالك بن سنان الخدري دم رسول الله وازدرده وهو والد أبي سعيد الخدري وقال: من مس دمه دمي لم تمسه النار واستشهد في هذه الوقعة كثير بلغ عدد قتلى المسلمين (٧٠) ومن المشركين (٢٣).

المنهزمون من المسلمين

صار المسلمون ثلاث فرق، فرقة استمرت في الهزيمة حتى بلغوا المدينة وفيهم عثمان بن عفان ونزل فيهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾[آل عمران:١٥٥] وفرقة صاروا حيارى لما سمعوا أن محمداً قد قُتِل فصارت غاية الواحد منهم أن يدافع عن نفسه ، وفرقة ثبتت مع رسول الله ثم تراجعت الفرقة الثانية شيئاً فشيئاً حين علموا أن النبي حي، وأما الفرقة الأولى فلم يرجعوا إلا بعد انتهاء القتال قال ابنُ سعد ما زال يرمي عن قوسه حتى صارت شظايا فصار يرمي بالحجر وكان أقرب الناس للعدو، هذا يدل على أنه كان أشجعَهم، روى عن علي عليه السلام أنه كان يقول: إذا اشتد البأس اتقينا برسول الله. أي جعلناه في وجه العدو ونكون خلفه، ثبت مع رسول الله أربعة عشر رجلاً سبعة من المهاجرين وسبعة من الأنصار، أقبل

---

(١) أي جرحت.

أبي بن خلف [1] نحو النبي وهو يقول: أين محمد لا نجوت إن نجا، فاستقبله المسلمون فقال النبي: خلوه، فأقبل وهو يقول: يا كذاب أين تفر؟ فتناول النبي الحربة من الحارث بن الصمة أو من الزبير فرماه فأصابه في عنقه وخدشته فرجع وهو يقول: قتلني محمد فقالوا: ما بك بأس، فقال: لو كان هذا الجرح بأهل المجاز لماتوا جميعاً، إنه قد قال لي بمكةَ: إني سأقتلك والله لو بقني لقتلني، فمات في الطريق لا رحمه الله.

(١) الجمحي.

شجاعة المرأة

ثبتت أم عمارة، واسمها نُسَيبة، وهي زوجة زيد بن عاصم قالت: خرجتُ إلى (أُحد) ومعي سقاء فيه ماءٌ لأسقيَ الجرحى فانتهيت إلى رسول الله وهو في صحابته إذ وقعت الهزيمة في المسلمين فانحزت إلى رسول الله فقمت أباشر القتال دونه وأذب عنه بالسيف وأرمي بالقوس حتى أصبت، ولقد أقبل ابن قميئة وهو يقول: أين محمد لا نجوت إن نجا. فضربته ضربات إلَّا أنه كان عليه درعان وضربني هذه الضربة، وقَتَلَ مصعب بن عمير. قال: ما التفت يميناً ولا شمالاً إلا ورأيتها تقاتل دوني، وقالت ادع الله يا رسول الله أن أرافقك في الجنة فدعا لها، ولقد أصيبت باثني عشر جرحاً بين طعنة برمح أو ضربة بسيف فقالت: ما أبالي ما أصابني من أمر الدنيا بعدما دعالي رسول الله رحمها الله.

من معجزاته

أصيبت عين قتادة بن النعمان الظَّفَريِّ وقد نزلت على وجنته فردها عليه رسول الله فصلحت وكانت أحسن من الأخرى حتى إنها لا ترمد ولو رمدت أختها وكان يقي بنفسه على رسول الله.

قتل حمزة رحمه الله

استأجرت هند بنت عتبة وحشياً لقتل علي وحمزة فقال: أما علي فلا أقدر لأنه يتلفت وأما حمزة فإني سأكمن له وهو يقدم ولا يبالي فكمن له ورماه بحربة فقتله فمثلت به هند لعنها الله وأرادت أن تأكل من كبده فلاكتها فلم تقدر على أن تسيغها. فالتمس رسول الله عمه حمزة فوجده قد مَثَّلُوا به فقال: «لئن أظهرني الله على قريش لأمثلن بثلاثين رجلاً» وقال أصحابه مثله فأنزل الله تعالى قوله: ﴿**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ**﴾[النحل:١٢٦] فقال: «أحتسب لله وأمتثل» ونهى عن المُثْلة، ودَفنَ رسول الله قتلى المسلمين في محل واحد بعد أن صلى عليهم ولم يغسل أحداً منهم ومن كان قد أخذوه إلى المدينة ردوه وقال: «يدفن الجميع في مضاجعهم».

رجع رسول الله إلى المدينة يدعو الله ويحمده ويعظمه وهو يهدّئ روع النساء ويصبرهن ويدعو لهن وينهاهن عن اللطم وشق الجيوب ويدعو للشهداء ولم يعنف أحداً من المنهزمين وإنما خاطبهم بالقول اللين وعفا عنهم فزاد في الفضل والإحسان قال تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ**﴾[آل عمران:١٥٩].

نزول الملائكة يوم أحد

قيل إن الملائكة نزلت ولم تُقاتل وقد وعدهم الله لو صبروا فلمَّا انهزموا وخالفت الرماة أمر نبيهم عَصوا بذلك فلم يقاتلوا وهذا هو الجواب على مَن قال: لِمَ قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم أحد؟ وفي الواقع أن الله قد يَبتلي عباده الصالحين ليعظم أجورهم ويزدادوا إيماناً وما زادتهم تلك الواقعة إلا إيماناً واحتساباً للأجر عند الله، من أصيب فقد فاز والمصابون بعدهم ينالون أجراً عظيماً مع الاحتساب، مع أن النصر لهم في كل حروبهم، إلَّا هذه الوقعة التي ابتلى الله فيها المؤمنين ابتلاء حسناً لقد عادوا إلى المدينة بعد ما هرب المشركون يحملون ما أصابهم من الجراح والخزي والقتل وطاردهم المسلمون ثم رجعوا إلى المدينة فوقفوا عند باب بيت رسول الله كل الليلة خوفاً عليه من متسرب مع ضعف المسلمين بما نالهم فلم يأمنوا وهكذا الإيمان الذي لا يتخلخل بأي نوع من أنواع المصائب فرضي الله عنهم وأرضاهم. قيل أنزل الله تعالى في وقعة (أحد) ستين آية منها قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ**﴾[آل عمران:١٢١] الآية، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ**﴾[آل عمران:١٢٦] وقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ**﴾[آل عمران:١٢٣] وقوله تعالى: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ**﴾[آل عمران:١٢٨] وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ**﴾[آل عمران:١٥٥]. تقدمت وغير ذلك.

غزوة حمراء الأسد

لما رجع رسول الله من أحد باتَ ليلته فلما طلع الفجر وصلى بالناس أتاه مخبر أن قريشاً قد نزلوا حمراء الأسد وهو موضع على ثمانية أميال من المدينة وبلغه أن صفوان بن أمية قد نصح قريشاً على الرجوع فقال: أرَشدهم صفوان وليس برشيد، فأذن مؤذن رسول الله بالخروج وأن لا يخرج إلا من شهد أحداً ويريد بذلك إظهار الشدة وتعظيم من شهد أحداً ومنع خروج المنافقين فَخَرج رسول الله وقال: «يا طلحة إن المشركين لن ينالوا منا مثلها حتى يفتحَ الله علينا مكةَ» وفي بعضها «حتى نستلم الركن». وأقام بحمراء الأسد ثلاث ليالٍ وكانوا يوقدون خمسمائة نار حتى تُرى من بعيد فقذفَ الله الرعبَ في قلوب الأعداء حتى انهزموا ورجعوا إلى مكةَ وظفر بأبي عزَّة الجمحي الشاعر الذي أمنَّه يوم بدر وكان يتحدث أنه سَحَرَ محمداً حين منَّ عليه فأسر وربط وقال الشاعر لرسول الله: امْنُنْ عليَّ، فقال رسول الله: «لا يُلدغ المؤمنُ من جُحر مرتين» وأمر بضرب عنقه وظفر بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص وهو جد عبد الملك بن مروان فقتله.

بعث الرجيع

بعث الرجيع في السنة الرابعة من الهجرة في شهر صفر وهو ماء لهذيل بين مكة والطائف وسبب ذلك أن بني لحيان من هذيل طلبوا من قبيلتين من بني هون بن خزيمة، فجعلوا لهم إبلاً على أن يكلموا رسول الله أن يُخرج لهم نفراً من أصحابه يفقهونهم في الدِّين ويعلمونهم القرآن وكان أراد أن يبعث عيوناً إلى مكةَ فبعث ستة نفر للأمرين معاً فخرجوا معهم إلى أن وصلوا الرجيع فغدروا بهم فهاجموهم بالسلاح فأخذوا سلاحهم للقتال فقالوا: ما أردنا قتالكم ولكم العهد والميثاق أن لا نقتلكم.

الغدر

وقصدهم أن يأسروهم ليسلِّموهم لأهل مكة لعلمهم أنه لا أحب لقريش من أن يأتوا بأحد من أصحاب محمد ليقتلوهم فبعضهم قاتل حتى قتل وذلك ثلاثة منهم أما الثلاثة الآخرون فاستسلموا فأسروهم وسلموهم لأهل مكةَ، فعذبوهم ثم قتلوهم بعد خروج الأشهر الحُرُم، ولما قدموا كبيرهم خبيباً الذي أمهلوه فقال: دعوني أركع ركعتين وركع ثم قال: لو لا أن تقولوا أني جبنت من الموت لزدت. وقال:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً

على أي جنب كان في الله مصرعي

وذلـــك في شـــأن الإلـــه وإن يـــشأ

يبـــارك علـــى أوصـــال شـــلو ممـــزع

وهو خُبيب بن عدي الأوسي البدري رحمه الله وأصحابه الذين قتلوا معه بمكةَ رحمهم الله والذين جاهدوا حتى قتلوا ولم يصبروا للدنيئة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

غزوة بني النضير في شهر ربيع الأول

وكانت سنة أربع وبنو النضير هم قبيلة من اليهود كانوا هم وقريظة بظاهر المدينة ثم نزلوا في العالية وبنو قريظة في مَهْزوز، وهما واديان ينزل منهما ماء عذب، خرج رسول الله يوم السبت إلى مسجد قباء ومعه نفر من المهاجرين والأنصار فأتى إليه بنو النضير وطلب منهم الإعانة في دية رجلين قتلهما عمرو بن أمية الضمري فقالوا: نفعل يا أبا القاسم، ثم اشتوروا أن يغدروا به وكان رسول الله جنب جدار من بيوتهم فقال بعضهم: أنا أطلع على ظهر البيت وألقي عليه صخرة فعرف رسول الله ما يريدون فنهض وقام مسرعاً متوجهاً إلى المدينة فبعث إليهم محمد بن مسلمة وقال يخرجون من محلهم ولهم المهلة عشرة أيام فمن بقي بعدها ضربتَ عنقه، فهموا بالخروج فأرسل إليهم ابنُ أبيّ فقال: لا تخرجوا وأنا أعينكم بقومي، فركنوا عليه فأرسلوا إلى رسول الله لا نخرج من ديارنا فكبّر رسول الله وكبّر المسلمون فخرج رسول الله بأصحابه يحمل لواءه علي بن أبي طالب عليه السلام فحاصرهم خمسة عشر يوماً وقطع نخلهم وخذلهم ابن أبيّ فقالوا: نخرج عن بلادك فقال: لا نقبله اليوم وكان حصارهم خمسة عشر يوماً ثم قال: أخرجوا وليس لكم إلا ما حملته إبلكم، فقبلوا فخرجوا فتوجه بعضهم إلى خيبر ومنهم من سار إلى الشام، وأخربوا بيوتَهم بأيديهم حَسَداً للمسلمين كما أخبر الله عنهم،

فقد حملوا أمتعتَهم على ستمائة بعير، وحزن المنافقون عليهم حزناً شديداً لكونهم إخوانهم فقبض رسول الله ما تركوه من السلاح والدروع فوجد خمسين درعاً، وخمسين بيضة، وثلاثمائة وأربعين سيفاً، فكان ذلك لرسول الله ينفق منها على أهله وأقاربه، وقيل: قسمها بين المهاجرين ليدفع مؤنتهم عن الأنصار ونزل فيهم سورة الحشر وكان ابن عباس يسميها سورة بني النضير. اهـ.

تحريم الخمر

حرمت في سنة أربع من وقت غزوة بني النضير

سأل جماعة من الصحابة عن الخمر وما فيه من المضار فنزل قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ﴾[البقرة:٢١٩] الآية، ثم نزلت الآيات المحرمة للخمر، وكان تحريمها تدريجاً فحرمت في الصلاة ثم حرمت على الإطلاق، وتتابع النهي من رسول الله مؤكداً لتحريمه فلعن من أجلها عشرة (شاربها وحاملها والمحمولة إليه وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومشتريها والمشتراه له وآكل ثمنها وساقيها) ولم يكن حَدُّ الخمر معهوداً حتى قرره أمير المؤمنين عليه السلام ثمانين كحد القاذف لأنه إذا سكر هذى وإذا هذى افترى[1]. كذا روي عنه عليه السلام.

---

(١) تمامه: وحد الفرية ثمانون جلدة. تمت.

غزوة ذات الرقاع

أقام بعد غزوة بني النضير شهراً ثم تجهز إلى ذات الرقاع يريد بني ثعلبة بن غطفان فتقارب الناس ولم يكن بينهم حرب وقد خاف الناس من بعضهم بعضاً وصلى صلاة الخوف وشرعت هنالك فكانت أول صلاة للخوف في هذه الغزوة.

غزوة بدر الآخرة

سميت غزوة بدر الصغرى وهذه هي الموعد مع أبي سفيان يوم أحد وتسمى بدر الثالثة خرج رسول الله إلى بدر ومعه ألف وخمسمائة وعشرة أفراس وذلك في شهر شعبان سنة أربع واستعمل على المدينة عبد الله بن رواحة وحمل اللواء علي بن أبي طالب عليه السلام وخرج أبو سفيان في قريش وهم ألفان ومعهم خمسون فرساً ونزلوا قريباً من مَرِّ الظهران ثم بدا لهم الرجوع فقال أبو سفيان: يا معشر قريش أنه لا يصلح لكم إلا عام خصب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن وإن عامكم هذا عام جدب وإني راجع فارجعوا وهذه حيلة دَبّرها أبو سفيان لئلا يقال: أخلف الموعد الذي بينه وبين رسول الله، وكان قد أرسل من يرجف في المدينة لئلا يخرجوا، فإذا تتبعنا خبر أبي سفيان وجدناه جباناً وذلك في كل تصرفاته كما يظهر للمطلع والله الموفق.

غزوة بني المُصْطَلِق

بنو المصطلق حَيٌّ من خزاعة وسببها أن الحارث بن أبي ضرار الخزاعي كان قد جمع الجموع لمحاربة النبي فخرج النبي وخرج معه كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزوة مثلها وكان معه ثلاثون من الخيل عشرة من المهاجرين وعشرون من الأنصار واستعمل على المدينة زيد بن حارثة وقَتَلَ رسول الله جاسوساً للمشركين وبلغ رسول الله المُرَيْسيع من ناحية قُدَيد إلى الساحل وصَفَّ أصحابه للقتال وحملوا على المشركين فقتلوا عشرة وأسروا باقيهم وكانوا أكثر من سبعمائة وسبعون من الرجال والنساء والذرية وساقوا النَّعَم والنساء ولم يُقتل أحد من المسلمين إلا واحد غلطاً، وكان في السبي جُوَيْرية بنت الحارث سيد قوم بني المصطلق، وكان اسمها برة، وكانت امرأة حلوة ملّاحة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه فكانت في سهم لثابت بن قيس، ولكنها طلبت المكاتبة فكاتبها فجاءت إلى رسول الله فقالت: يا رسول الله أنا بنت الحارث سيد قومه وقد نالني من البلاء ما لم يخف عليك وقد كاتبت على نفسي، فأعني، قال: أو خير من ذلك أقضي[1] عنكِ كتابتكِ وأتزوَّجكِ فقالت: نعم فبلغ الناس فقالوا: أصهار رسول الله فعتق من أجلها مائة أهل بيت من بني المصطلق، وبسبب زواجها هدى الله أكثر بني المصطلق ومنه يظهر حكمة رسول الله في زواجها.

---

(١) في الأصل اقضي عنك.

آية التيمم

نزلت في غزوة بني المصطلق نام رسول الله فأصبح ولم يجد ماءً فأنزل الله آية التيمم وكانت لهذه الغزوة بركات كثيرة كما شرحنا والله ولي التوفيق.

حديث الإفك

وكان في هذه الغزوة حديث الإفك، وهم راجعون حينما ضيعت عائشة عقدها فعادت له ثم رجعت وقد رحل الركب، فجلست فأتاها النوم فمر بها صفوان بن المعطل فأركبها ولحق بها الجيش فأشاع عبد الله بن أبي حديث الإفك، ونزل فيه قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[النور:١١] لأن مهمته الانتقاص من رسول الله، ونزلت الآيات في التغليظ وتحريم الإفك ورمي المحصنات فلما نزلت براءة عائشة جلد رسولُ الله كلَّ من رمى عائشة بالإفك، وجلدُ الإفك ثمانون جلدة وعظم الله الإفك ورمي المحصنات وأوجب التباعد عن ذلك قال تعالى: ﴿**لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ**﴾[النور:١٢] الآيات.

غزوة الخندق

كانت غزوة الخندق في شوال من السنة الخامسة وقيل في الرابعة لما وقع إجلاء بني النضير، قام وجهاؤهم بالاستغاثة بأهل مكة وساروا إلى غطفان يستعينون، فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان وخرجت غطفان وقائدها عُيينةُ بن حِصْن، والحارث بن عوف المري في بني مرة ومسعود بن رخيلة فيمن تابعه من قومه من أشجع.

حفر الخندق

لما سمع رسول الله بتحزبهم أمر بحفر الخندق حول المدينة في الجهة التي لم تكن حصينة والذي أشار له بها سلمان الفارسي لأن الفرس كانوا يحفرون الخنادق واشتغل رسول الله وحفر الخندق بنفسه ليتبعه الناس أما المنافقون فكانوا يخذلون ويثبطون العزائم ويهربون فخط رسول الله الخندق ثم قطعه أربعين ذراعاً وكان سلمان رجلاً قوياً فقالت الأنصار: سلمان منا وقالت المهاجرون: سلمان منا، فجاء رسول الله وقطع الخلاف وقال: «سلمان منا أهلَ البيت».

اعتراض صخرة بيضاء في الخندق ومعجزة الرسول

ظهرت صخرة بيضاء مروة فكسرت حديد معاولهم، فأخبر سلمان رسول الله فهبط رسول الله في الخندق وأخذ المعول وقال: «بسم الله، ثم

ضربها فنثر ثلثها وخرج منها نورٌ أضاء ما بين لابتيها وقال: «الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إني لأرى وأبصر قصوره الحمر من مكاني» ثم ضرب ثانية فقطع ثلثها فبرقت برقة من جهة فارس وأضاءت ما بين لابتيها فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض، فأبشروا بالنصر، فسر المسلمون، ثم ضرب الثالثة فقطع باقيها وخرج نور من قِبَل اليمن أضاء ما بين لابتيها فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة»، واعترضت أيضاً كُدية من الأرض قاسية لا تعمل فيها المعاول فأخذ النبي المعول وضربها فعادت كثيباً رملاً.

عدد الجيشين

كان المشركون عشرة آلاف من قريش ومن الأحابيش وكنانة ومن تابعهم وكان أهل الخندق ثلاثة آلاف.

نقض العهد

كان (سعد)[1] القُرَظي سيد بني قريظة قد وادع النبي وعاقده على ذلك فذهب إليه حيي بن أخطب النَّضَري ولا زال به يستميله ويغرر عليه حتى قبل منه نقض العهد بينه وبين رسول الله وصار هو وقومه مع الأحزاب على رسول الله، وعلم رسول الله فعظم عليه واشتد الخوف

(١) صوابه كعب بن أسد.

لأنهم قريبون للمدينة ومن خلفهم ولم يكن بينهم وبين الأحزاب إلا الرمي بالنبال نحو شهر وكان مع المسلمين من النبل ما يكفيهم لنحو سنة ثم عمد المشركون إلى الخندق إلى مكان ضعيف فاقتحموا الخندق ودخلوا وكان فيهم عمرو بن ود العامري المشهور بالشجاعة وكان كبير الجسم طويل القامة فدعا للمبارزة فلم يجبه أحد، فقال رسول الله قم يا فلان قم يا فلان وعَدَّدَ كثيراً وعمرو يطلب المبارزة حتى أنشأ شعره المعروف:

ولقد بححت من النداء في جمعكم هل من مبارز

وافتخر وهو يرتجز في المعركة، فقال علي: يا رسول الله أنا أبارزه وهو يتحفز لذلك فنزل ودعا له النبي وقال: «برز الإسلام كلُّه للشرك كلِّه» فبرز علي عليه السلام وقال: إني أسمع عنك أنك لا تدعى إلى ثلاث إلا أجبت منها واحدة قال: نعم قال: فإني أدعوك إلى الله ورسوله، فقال: لا حاجة لي إلى ذلك، قال: فارجع من حيث جئت، قال لا يكون ذلك، قال فإني أدعوك إلى المبارزة، فقال: يابن أخي إني لا أحب أن أقتلك، فقال علي: لكني والله أحب أن أقتلك، فحمي عمرو فاقتحم عن فرسه وعقره وقيل ضربه في وجهه وتقدم إلى علي عليه السلام فتنازلا وتجاولا حتى ظل الغبار عليهما فلاحت لأمير المؤمنين فرصة فضربه فقطع رجله وكب على الأرض فاراد علي أن يجز برأسه فبصقه فتأخر علي عليه السلام عنه حتى سكن غضبه ثم تقدم وقطع رأسه وكبر وكبر

المسلمون فانهزم من كان معه عكرمة بن أبي جهل وغيره، قيل: كانوا نحو عشرة وسقط أحدهم في الخندق فرموه بالحجارة فقال: قِتلة أحسن من هذه يا محمد فنزل علي عليه السلام فقتله وألقى عكرمة رمحه وهو هارب. إنه علي عليه السلام لا يبارزه أحد إلا قتله، ثم أنشأ يقول عليه السلام:

نَصَرَ الحجارةَ من سفاهةِ رأيهِ

ونَصَرْتُ دينَ محمد بصوابِ

وصددتُ حين تركته متجَدّلاً

كالجذع بين دكادك وروابي

وعففتُ عن أثوابه ولَوَ انني

كنت المجندلَ بَزَّني أثوابي

لا تحسبن الله خاذلَ دينه

ونبيِّه يا مَعْشر الأحزاب

وكان شعار أصحاب رسول الله «حم لا ينصرون» واصيب سعد بن معاذ بسهم في أَكْحَلِه[1] وكان يقول: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها وإن كانت الحرب قد وضعت أوزارها فاجعله لي شهادة ولا تمتني إلا وقد أقررت عيني في بني قريظة.

(١) الأكحَل عرق في اليد هو عرق الحياة. تمت قاموس.

الحرب خدعة

لما اشتد الحرب بالرمي بالنبال نزل علي ومن معه عند المضيق من الخندق ليمنعوا المشركين ثم قيض الله نعيم بن مسعود فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت وأنا أكتم إسلامي فمرني بما شئت، قال: خذّل عنا – فأتى بني قريظة فقال: تعلمون أني أودكم وكان نديماً لهم في الجاهلية، وقال: إن قريشاً وبني غطفان قد جاؤوا لحرب محمد وقد ظاهرتموهم وأنتم تعلمون أنهم أهل بلاد بعيدة فإن ظفروا أخذوا غنائمهم ورجعوا بلادهم وإن هربوا فكذلك وتركوكم وقد ناصبتم محمداً حرباً فتكون الدائرة عليكم فقالوا: ما ترى؟ قال: أن تطلبوا من قريش وغطفان وتتركوا حرب محمد إلّا أن يسلموا لكم رُهُناً من أشرافهم يقون معكم ويجاهدون معكم محمداً حتى تناجزوه، فقالوا: قد أحسنت وأشرت بالرأي السديد، فسار إلى أبي سفيان وقريش وغطفان وقال: قد عرفتم ودي لكم وفراقي محمداً وقد رأيت أمراً حقاً عليّ أن أبلغكم نصحاً لكم واكتموا عليَّ ما أقول لكم قالوا: نفعل، قال: فاعلموا أن اليهود قد ندموا على ما فعلوا وقد أجمع رأيهم أن يطلبوا منكم من أشرافكم رُهُناً ثم يسلموهم لمحمد يقتلهم ليرضى عنهم وقد أرسلوا إلى محمد وقالوا له: هل يرضيك عنا أن نسلم لك من أشراف قريش وغطفان وترضى عنا قال: نعم، فإن أرسلوا إليكم فلا تفعلوا ولا تدفعوا منكم رجلاً واحداً، فأرسلوا إلى اليهود عكرمة بن أبي جهل ونفراً معه فقالوا نطلب منكم أن تقاتلوا محمداً معنا. فقالوا: اليوم سبت ولسنا نقاتل معكم حتى تعطونا رُهُناً من أشرافكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمداً فإنا نخاف أن ضَرَّستكم الحرب

ترجعون إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا ولا نقدر على مقاومته فلما رجعوا إلى أصحابهم قالوا: إن الذي قاله نعيم لحق واليهود قالوا: إنَّ الذي قاله نعيم لحق.

فوقع الفشل بين قريش وغطفان وبني قريظة ثم ارسل الله ريحاً شديدة حتى لم يعرف بعضهم بعضاً وجعلت تلقي قدورهم وماتت مواشيهم فخطب أبو سفيان وأمرهم بالرجوع فرجعوا منهزمين ونزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾[الأحزاب:٩] الآيات، ثم انصرفوا فقال رسول الله «إن قريشاً لن تغزوكم بعد هذه».

وأنزل الله في عمل نعيم بن مسعود قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[1] [آل عمران:١٧٣] الآيات، لما رجع رسول الله من حرب الأحزاب إلى المدينة نزل جبريل فقال: يا رسول الله إن الله يأمرك بالمسير إلى بني قريظة فإني نازل بهم فأزلزلهم فأمر رسول الله مؤذناً وقال: «من كان مطيعاً لله ولرسوله فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة» وتقدم علي باللواء إلى بني قريظة وتبعه الناس وكان عدد من خرج ثلاثة

(١) هذه الآيات نزلت في نعيم بن مسعود بعد غزوة أحد حين بعثه أبو سفيان محمد بأن يرهب المسلمين بجمع قريش وحلفائها وليس في عمل نعيم بن مسعود في تفكيك الأحزاب سنة ٥ هجرية.

آلاف والخيل ستة وثلاثين فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة حتى نزلوا على حكمه، فقال: اختاروا حَكَماً، فاختاروا سعد بن معاذ ورسول الله اختاره فحكّموه فحكم بقتل رجالهم وسبي ذراريهم وأخذ أموالهم، وهكذا قَبِل الله دعوته أن يقر عينه في بني قريظة، فقُتِل كل بالغ منهم ولم يقتل من النساء إلا امرأة كانت قد قتلت رجلاً من بني سويد ألقت عليه حجراً.

وأمر رسول الله بجمع غنائمهم فجمعوها فكانت ألفاً وخمسمائة سيف وثلاثمائة درع وألفين رمح وخمسمائة قوس وكثير من الأثاث ومن الإبل والغنم.

وفاة سعد بن معاذ رحمه الله

لما انقضى شأن بني قريظة انفجر العرق بالدم فأخبر جبريل النبي أنها فتحت له أبواب السماء، ونزل من القرآن في وقعة الأحزاب آيات كثيرة في سورة الأحزاب.

أمر الحديبية

في ذي القعدة سنة ٦ من الهجرة

خرج رسول الله في ذي القعدة معتمراً زائراً للبيت لا يريد حرباً ومشتاقاً لمكة التي وَلِه لها ست سنوات فاستنصر العرب خشية من قريش أن يلقوه بحرب وساق معه الهدي سبعين بدنة، فوصل إلى الحديبية وهي ما بين مكة وجدة وبعضها في الحرم فمنعوا دخولَه إلى مكةَ وقالوا: لا يمكن دخولُه هكذا عنوةً فصالحهم على أن يعود ويقضيها في السنة المقبلة وأرسلت قريش سهيل بن عمرو فقال: لا نقدر أن ندعك تدخل مكة عنوة ولا نقدر الآن على الحرب فقال رسول الله قد أراد الصلح ونحن رضينا بالصلح، فلمَّا علموا غَضِبَ بعضُهم لكنهم لا يعلمون أن في علم الله أشياء وأن الصلح خير للمسلمين، وقال لهم رسول الله «أنا عبد الله ورسوله ولن أخالف أمره» فدعا علياً عليه السلام فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل: لا أعرف هذا، فقال رسول الله: اكتب باسمك اللهم، فكتب هذا ما عاهد عليه محمد رسول الله فقال سهيل: لو علمت أنك رسول الله لم أقاتلك قال: امحها[1] واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس وعلى أن يقضي العمرة في العام المقبل وعلى أن من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده

(١) قيل إنه قال رسول الله ﷺ امحها ولك مثلها فوقعت له في حرب صفين عند المصالحة بينه وبين معاوية.

عليهم ومن جاء قريشاً من أصحاب محمد فما عليهم أن يردوه ومن أحب أن يدخل مع محمد فلا اعتراض، عليه ومن أحب أن يدخل مع قريش فلا اعتراض عليه. فلما تم الصلح أمر بنحر البدن وأحلوا جميعاً ولما كان في طريق رجوعه نزلت عليه سورة الفتح ففهم بعضهم فتح الحديبية وفهم بعضهم فتح مكة تبشيراً وعبّر بالماضي عن المستقبل لتحقق وقوعه والله أعلم.

عمرة القضاء

لما مُنع ﷺ من العمرة عام الحديبية شرط على أهل مكة أن يقضيها في العام القادم فلما أراد الرسول ﷺ نادى في الناس يتجهزون للخروج إلى عمرة القضاء فأقبل الناس ملبين هذا النداء فتقدمهم النبي ﷺ على ناقته القصواء ولما عرفت قريش بمقدم محمد وأصحابه خرجت عن مكة عملاً بصلح الحديبية وصعدت في التلال المجاورة حيث نصبت خيامها هناك مطلين على مكة فلما وصلوا إلى أطراف مكة أحاط كبارُ الصحابة بالنبي ﷺ وصارت الصفوف من خلفهم فلما انكشف البيت الحرام أمامهم نادوا بالصوت الواحد «لبيك لبيك» متوجهين بالقلوب والأرواح إلى الله جل جلاله، محيطين إكباراً لهذا الرسول الذي بعثه الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولقد كان مشهداً عظيماً من مشاهد التاريخ التي اهتزت له أرجاؤه والذي جذب قلوب أشد المشركين صلابة فلما وصلوا أدوا مناسك العمرة منادين بلا إله إلا الله وحده نصر عبده وأعز جنده وخذل الأحزاب وحده وهو أول دخول لمكة بعد منعهم سبع سنين فكان له الأثر العظيم.

غزوة خيبر

في محرم سنة ٧ من الهجرة

خيبر بلد متسع وهو على ثمانية بُرُد من المدينة إلى جهة الشام، وسكان خيبر يهود وهي ذات حصون وزروع ونخل كثير وكان سكانها غير مجتمعين في صعيد واحد بل كانوا متفرقين في الوديان المجاورة ويقطنون بيوتاً حصينة وسط النخيل وحقول القمح وكانت خيبر مركزاً للدسائس اليهودية وسياسات يهود الذين كانوا قد هاجروا إليها وحصون خيبر الأساسية ثلاثة مؤلفة من عدة حصون وهي:

١- حصون النطاه: وهي أربعة (الناعم، العصب، الكتيبة، بقله).

٢- حصون الشِّق: (حصن أبيّ، وحصن البري).

٣- حصون الكتيبة: (حصن القَمُوْص[١]، الوَطِيح، سُلَالِم).

قال القزويني: وخيبر موصوفة بكثرة الحمّى لا تفارق الحُمّى أهلها، وكان أهلها موصوفون بالمكر والخداع والخبث وكانوا أهل حرب وقيل: منها كان السموأل[٢] الموصوف بالوفاء، كان أهل خيبر رجالاً محاربين لهم عدة.

خرج رسول الله في (١٦٠٠) مسلح تسليحاً حسناً ومعه (٢٠٠) فارس واستنصر بمن حوله ممن شهد الحديبية وكان بعضهم خرج لأجل

---

(١) حصن أبي الحُقَيق اليهودي. تمت.

(٢) السموأل بن عادياء اليهودي يضرب به المثل في الوفاء. تمت.

الغنيمة فقال: «لا يخرجَنَّ معي إلا من هو راغب في الجهاد فأما لأجل الغنيمة فلا» (لأن الغرض الأساسي هو الجهاد لا الغنيمة) قد وعد الله رسوله منصرفَه من الحديبية في سورة الفتح ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾[الفتح:٢٠] .

بعث رسول الله حين اقترب من خيبر بعوثات كثيرة منهم أبو بكر وعمر فلم يفتحوا شيئاً بل كانوا يرجعون بخفي حنين، فقال رسول الله: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه» وفي الصباح تهيأ لها كثير من الصحابة على أن يكون واحداً منهم حينما كان علي عليه السلام به رمد فقال: «ادعوا لي علياً، فقالوا: هو أرمد لا يبصر شيئاً، قال: ائتوني به، فجاؤوا به فتفل رسول الله في عينيه ومسحهما وصَحَّا ولم يصبهما رمد ولا غيره، وقال: اللهم اكفه الحر والبرد» فقال علي عليه السلام فما وجدت بعد ذلك حراً ولا برداً، فخرجوا من البيوت وبرز الحارث أخو مَرْحَب وكان مشهوراً بالشجاعة فضربه علي عليه السلام فقتله فهرب اليهود ودخلوا الحصن وهو حصن ناعم، ثم خرج إليه مَرْحَب متدرعاً بدرعين ومتقلداً سيفين ومعتم بعمامتين وفوقهما مِغْفَر وحجر قد نقبها قَدْر البيضة ثم حمل على علي عليه السلام فضربه فسقط الترس من يد علي عليه السلام ولكنه أخذ باباً كان هناك فتترس به، فضرب مرحباً ضربة على رأسه فقدَّ المِغْفر والحجر والعمامتين وشق رأسه حتى بلغ السيف أضراسه ولا زال القتال

بينهم كلما فتحوا حصناً قاتلوهم ثم يقتحمون ما بعده حتى أتموا الحصون، قُتِل من اليهود (٩٣) واستشهد من المسلمين (١٥) رجلاً وأخذ رسول الله من الغنائم التي يطول شرحها ويبعد عدّها وجمع النبي الغنائم وكان فيهم صفية سيدة بني قريظة[1] لأنها بنت حيي بن أخطب قيل: إنها من سبط هارون أخي موسى عليهما السلام والله أعلم، وفي هذه الغزوة وقعت حادثة السم لرسول الله سَمَّتْهُ زينب بنت الحارث الذي قتله علي أول واحد وهو أخو مَرْحَب سألت ما هو الذي يعجب رسول الله من اللحم؟ قيل: الذراع فَسَمَّتْهُ فتناوله رسول الله ومضغ منه قليلاً فكلمه الذراع أنه مسموم فتركه وطلب المرأة فقال: «ما حملكِ على هذا» قالت: إن كنت نبياً يخبرك الله وإن كنت مَلِكاً أرحت الناس منك وقد تبين لي أنك صادق وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فعفا عنها وأخذ بعض أموال خيبر وترك بيد أهلها النصف وذلك على أن يسلموا نصف ما حصد من النخل والزرع.

صلح أهل فدك

لما علموا بانهزام أهل خيبر طلبوا من النبي المصالحة فصالحوه على النصف من فَدَك فقَبِل فكانت له خاصة ينفقها على أهله وأقاربه فلما توفي رسول الله أخذها أبو بكر فطلبته فاطمة وقالت: نَحَلَنِي بها أبي،

---

(١) صوابه بني النضير لأن حيي بن أخطب من بني النضير لا من بني قريظة. تمت.

فامتنع فقالت: فأنا أرث أبي فامتنع، وروى لها (إنا معاشرَ الأنبياء لا نُورَثُ ما تركناه صدقةٌ) فينظر في «ما» أهِيَ موصولة أم مصدرية؟ إذا صحّ الحديث وعندنا أنه غيرُ صحيح لأنه نبي يورث كغيره، كما قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾[النمل:١٦].

سرية مؤتة

مؤتة من أعمال البلقاء من أرض الشام على مرحلتين من بيت المقدس جنوب البحر الميت، وسببها أن النبي أرسل الحارث بن عُمَيْر الأزديِّ بكتاب إلى أمير بُصرى من جهة هرقل فلما نزل مؤتة تعرض له شُرَحبيل بن عَمْرو الغساني وهو من أمراء قيصر على الشام فقال: أين تريد لعلك من رسل محمد، قال: نعم فأوثقه وضرب عنقه ولم يُقْتَل لرسول الله غيره، فلما بلغ رسول الله اشتد عليه الأمر فجهز جيشاً لمقاتلة ملك الروم فأمر رسول الله جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة وقال: «إذا قُتِلَ جعفر فليأخذ الراية زيد وإن قُتِلَ زيد فليأخذها عبد الله وإذا قُتِلَ عبد الله فمن ارتضاه الجيش» فأسرع الناس بالخروج وأوصاهم رسول الله بقوله: «أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيراً اغزوا باسم الله وفي سبيل الله من كفر بالله، لا تغدروا ولا تقتلوا امرأة ولا وليداً ولا كبيراً فانياً ولا منعزلاً بصومعة[1] ولا تقربوا نخلاً ولا تقطعوا شجراً ولا تهدموا بيتاً».

فلما فصل الجيش من المدينة وسمع العدو بهم قام شرحبيل بن عمرو الغساني وجمع الروم من الجيش أكثر من مائة ألف من الروم وضم إليهم القبائل العربية فلما وصل المسلمون (مَعان) من أرض الشام

(١) صومعة جمع صوامع الرهبان التي ينقطعون فيها للعبادة. تمت.

بلغهم كثرتهم فقال بعضهم: نكتب إلى رسول الله بالخبر فإما يأمرنا بأمره أو يمدنا فقال عبد الله بن رواحة: إن التي خرجتم لها إياها تطلبون وهي الشهادة وما نقاتل الناس لا بعدد ولا كثرة ما نقاتلهم إلَّا بهذا الدين الذي أكرمنا به الله، فإن فزنا فذاك وإلا فالشهادة وهي أفضل الحسنيين فشجعهم وتكامل جيش الروم إلى ما يزيد على مائة ألف لأنه انضم إليه قبائل العرب المتنصرة، فتقدم جعفر وهو يقول:

يا حبَّذا الجنةُ واقترابُها

طيبةً وباردا شرابُها

والروم روم قد دنا عذابُها

فقاتل الأمراء الثلاثة على أرجلهم فقطعت يد جعفر فأخذ الراية بالأخرى فقطعت فاحتضنها حتى قُتِل ووُجِد فيه بضع وسبعون جرحاً ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ثم أخذ الراية زيد بن حارثة إلى أن قُتِل ثم أخذها عبد الله بن رواحة حتى قُتِل ثم أخذها ثابت بن أقرم العجلاني ثم سلمها إلى خالد بن الوليد فقاتل المسلمون قتالاً شديداً لم يسبق له مثيل ولم يعلم عدد قتلاهم، وقتل من المسلمين اثنا عشر قتيلاً فقط مع أن عدد العدو أكثر من مائة ألف وهذه من الغرائب والنصر المبين، وقُبر الثلاثة الأمراء في قبر واحد[1] بمؤتة وقبرهم مشهور مزور

(١) لقد زرتهم ووجدتهم بثلاثة قبور على كل واحدٍ منهم قبة فرحمهم الله.

رضي الله عنهم، وأول من جاء بالخبر يعلى[1] بن مُنْيَة لما قدم إلى رسول الله فقال له: «أخبرني وإلا أخبرتك» قال: يا رسول الله أخبرني فأخبره الخبر ووصف له ما كان فقال يا رسول الله والذي بعثك بالحق نبياً ما تركت من حديثهم حرفاً واحداً.

(١) وهو صاحب الجمل الذي حُمِلت عليه عائشة لحرب أمير المؤمنين في وقعة الجمل سنة ٣٦ هجرية إذ كان والياً لعثمان على اليمن. تمت.

فتح مكة في شهر رمضان

لما كان صلح الحديبية بين رسول الله وبين قريش كان في عهدهم من أراد أن يدخل مع قريش دخل ومن أراد أن يدخل مع المسلمين دخل فانضمت خُزاعة في عهد رسول الله ودخلت بنو بكر في عهد قريش فوقع بين خُزاعة ورجل من بني بكر نزاع حتى شجه الخزاعي فقامت بنو بكر وطلبت من قريش إعانتهم على خزاعة فقام نفر منهم ممن ملئ قلبه غيظاً كعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية ونفر معهما وهجمت بنو بكر على خزاعة وقتلوا منهم فعند ذلك خرج عمرو بن سالم الخزاعي إلى أن أتى المدينة فوقف على رسول الله وهو في المسجد بين الناس وقال:

يـــا ربِّ إنـــي ناشِـــدٌ محمـــدا
حِلْـــف أبيـــه وأبينـــا الأتلـــدا
قـــد كُنْـــتُمُ ولـــداً وكُنّـــا والـــدا
ثُمَّـــتَ أسْـــلمنا ولم ننـــزعْ يَـــدا
إن قريـــشاً أخلفـــوك الموعـــدا
ونقـــضوا ميثاقـــك المؤكـــدا
هـــم بَيَّتونـــا بـــالوتير [1] هُجَّـــدا
وقَتَلُونـــا رُكَّعـــاً وســـجدا

(١) الوتير: ماء.

فانـــصرْ هـــداكَ اللّـــهُ نـــصراً أيّـــدا

وادعُ عبـــــادَ الله يـــــأتوا مَـــــدَدَا

فقال: «نُصِرتَ يا عمرو بن سالم» وفي رواية «لا نُصِرت إن لم أنصركم بما أنصر به نفسي» فقال: ارجعوا وتفرقوا في الأودية وقصد رسولُ الله إخفاءَ مجيئهم، وقريش تبعث أبا سفيان إلى المدينة لَـمَّا ظهر لهم أنهم قد نقضوا العهد وهو يريد أن يجدد العهد فتوسل بأبي بكر وعمر فلم يفعلا وبعلي وغيره فأفادوه بعدم القبول وأعرض عنه رسول الله.

استعداد رسول الله للزحف إلى مكة

أخذ رسول الله يستعد للزحف إلى مكة بسرٍّ وخفية وكان يدعو ويقول: اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرونا إلا بغتة ولا يسمعون بنا إلا فلتة، ثم أمر بالتجهز ونادى في كل ناحية من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان في المدينة وأمر بالأنقاب[1] في كل جهة وأوقف على كل طريق جماعة يعرفون من يمر.

كتاب حاطب إلى مكة

لما علم الناس بمسير رسول الله إلى مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش يخبرهم بمسير رسول الله إلى مكة وسلمه إلى امرأة وأجرَّها عشرة دنانير وكساها بُرْداً وقال لها: اكتميه لا يراه أحد ولا تمري على الطريق

(١) أي الآذان وهم من يعلمون الناس بالخبر. تمت.

فإن فيها حرساً فجعلت المكتوب في ضفائر رأسها وسلكت غير الطريق فجاء رسولُ الله الخبرُ من السماء فدعا علياً والزبير وقال أدركا امرأة قد كتب معها حاطب كتاباً لقريش يعلمهم الخبرَ ويحذرهم فخذوه منها وخلوا سبيلها فخرجا حتى أدركاها بالخُلَيفة فالتمسا رحلها فلم يجدا شيئاً فحلف أمير المؤمنين عليه السلام لتخرجنه أو ليكشفنها قالت: أَعْرِضْ فَأَعْرَضَ فحلت رأسها فأخرجته فأتيا به إلى رسول الله فدعا حاطباً وقال: ما حملك على هذا؟ فقال حاطب: والله إني لمؤمن بالله ورسوله ما غيّرتُ ولا بدلت ولكني كنت في القوم وليس لي فيهم لا أصل ولا عشيرة وكان لي فيهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم فعفا عنه رسول الله رغم أن هذا ذنب لا يُغْفَر، لقد خان الله ورسوله لأن هذا أمر عظيم حين يحذّر أهلَ مكة من رسول الله وهنا حديث مكذوب على رسول الله، وقال: إنه من أهل بدر إلى آخر الحديث الذي لا يقبله شرع ولا عقل والله أعلم.

وخرج رسول الله حتى نزل مَرَّ الظهران في عشرة آلاف، وقيل: عشرة آلاف ومائتين، وخرج أبو سفيان يتجسس الأخبار فلما دنا منهم لقي العباس فقال: ما هذا يا عباس؟ قال: رسول الله قد دلف إليكم بما لا قِبَل لكم به قال: فما تأمرني؟ قال: اركب معي هذه الدابة حتى آتي بك إلى رسول الله فأستأمن لك منه، فوالله لو ظفر بك لقتلك، ثم أوصله إلى النبي فأقبل نحوه بعض المهاجرين فقالوا: هذا الخائن قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد دعنا نقتله فدعاه رسولُ الله إلى الإسلام فقال:

في نفسي من ذلك شيء، فقال له العباس: أسلم قبل أن تُضْرب عنقك قال: فَتَشَهَّد وهذا يشهد لأمير المؤمنين عليه السلام حين قال: دخل معاوية في الإسلام كرهاً وخرج منه طوعاً، فكذلك أبوه لم يسلم إلا كرهاً حينما تهددوه بالقتل، وكثير ممن أسلم بعد الفتح من أهل مكة لم يسلموا إلَّا كرهاً، ثم قال رسول الله: «احبسه في مضيق الوادي حتى يشهد جنود الله» فقال العباس يا رسول الله إنه يحب الفخر فاجعل له شيئاً في قومه، فقال رسول الله: «من دخَل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن» فلما شاهد أبو سفيان القوة الإلهية قال للعباس: لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً، قال إنها النبوة، هذا أبو سفيان يقول مُلك ابن أخيك (سماه ملكاً فقط تأمل لأنه لم يؤمن بالنبوة) ثم أَذِنَ رسول الله للجيش بالإفطار وقال: «من أحب أن يصم فليصم ومن أحب أن يفطر فليفطر» وقيل: أفطر من أجل الجيش لمن أحب أن يفطر، ثم دخَل مكةَ عنوةً لعشر بقين من شهر رمضان وحكم على الذين ناصبوه العداوةَ بالقتل وهم عكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وغيرهم وهم أحد عشر رجلاً، ومن شفع له عند رسول الله عفا عنه.

خطبة رسول الله

خطب رسول الله قيل: قام على باب الكعبة وقال: «يا أهل مكةَ ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، فقال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» أعتقهم رسول الله وقد كان أمكن منهم فبذلك يسمون أهل مكة الطلقاء، ثم بايعوا رسول الله وكان ممن بايع معاوية بن أبي سفيان.

أذان بلال على ظهر الكعبة

هذا بلال بن رباح الذي عُذب قبل عشر سنين هاهو يؤذن بحرية مطلقة سبحان الله من تغير الأحوال فلما أَذَّنَ فمنهم المستهزئ ومنهم من يذم بلالاً ومنهم المستبشِر الفَرِح بالإسلام فأهل مكة شداد غلاظ لم يسلموا إلا كرهاً بعد دخول رسول الله مكةَ ولم يبق لهم مفر ثم طلب منهم البيعة فبايع بعضهم خوفاً وفَرقاً[1] والله أعلم.

نعم نتأمل في ظرف عشر[2] سنين نصره الله ودخل مكةَ عنوةً وهو يحمد الله تعالى رافعاً رأسه بفضل الله تعالى: بعد أن خرج هارباً خائفاً وبعد ما تلقى من الأذى فنصره الله عليهم في مدة قريبة ومَلِكهم ثم منَّ عليهم بالعتق فهو نصر الله ينصر من يشاء، أما الرسول الأعظم فهو صفي الله وحبيبه وخيرته من خلقه وأمينه على وحيه فهو حقيق بكل تكريم.

---

(١) عطف تفسيري بمعنى خوفاً وهلعاً. تمت.

(٢) لعله في ظرف ثمان سنين لأن فتح مكة كان في رمضان سنة ثمان هجرية. تمت.

ويرد هنا **سؤال يقال**: لِـمَ ابتلي بما ابتلي بـه مـن الأذى والمحـن الـتي يطول شرحها ولم ينصره الله من غير ذلك؟

الجواب: أن الله يبتلي عباده الصالحين بأنواع من البلاء وفي هذا فوائدُ كـثيرةٌ وكـثيرة للاختبـار كمـا قـال تعـالى: ﴿لِيَبْلُـوَكُمْ أَيُّكُـمْ أَحْـسَنُ عَمَلاً﴾[الملك:٢]، ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِـدِينَ مِـنكُمْ وَالـصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُم﴾[محمد:٣١] وليظهر إيمان المسلم حينمـا يـدخل في الإيمـان عالماً أنه سيبتلي بأنواع من الأذى فهو يدخل في الإسـلام بقناعـة ورضـا وهو يعرف أنه سيلقى متاعب ومصائب وليكون مـا ابتلـي بـه الرسـول الأمين وهو في هذه المنزلة الشريفة أسوة لكل مؤمن فيرضون بقـضاء الله وحكمه ويستسهلون الصعاب في جنب الله وإلى غير ذلـك مـن الفوائـد والله ولي التوفيق.

غزوة حنين

١٠ شوال سنة ٨ للهجرة

غزوة حنين بعد فتح مكة لما فتحت مكة خافت هوازن وثقيف وهم عدد كثير متآلفة من قبائل كثيرة، وسببها بعد فتح مكةَ أنه خاف أشراف هَوَازِن وأشراف ثَقِيف أن يغزوهم حتى لقد خافوا قبل الفتح أن يبدأ بهم فعزموا على أن يقاتلوا قبل أن يُقَاتِلوا، خرج رسول الله من المدينة في قوة عظيمة كما شرحنا، فلما سمع بما عزمت هَوَازِن وثقيف كان الأمر سائحاً ومهيأ تجمعت هوازن ومن معهم وأسندوا الرياسة إلى مالك بن عوف النَّصْرِي[1] وكان فيهم محبوباً فدبرهم على أن يجمعوا الجموع الكثيرة ويأخذوا أموالهم كلَّها من إبل وشاء وغيره ذلك لئلا ينهزموا ويأخذوا معهم النساء والقينات المغنيات والأموال النفيسة وكان معهم دُرَيد بن الصِّمَّة وقد كان كبيراً أعمى ولكنه المدبر البصير، فلما سمع أصوات الإبل والنساء والأطفال قال: رأي من هذا؟ قالوا: مالك بن عوف، فدعاه وقال: ما حملك على هذا؟ قال: أردت أن يقاتل الإنسان وأهله وماله خلفه فلا يجبن مع ذلك أو ينهزم، فقال دريد: أرجعوا الأموال والذرية، وقال هذا رأي غير سديد ولكن لم يقبله مالك بن عوف، أما جيش المسلمين فكانوا كثيراً الذين دخلوا مكة ومن كان بمكة فعجبوا لكثرتهم فقال أبو بكر (لن نغلب اليوم من كثرة)

---

(١) وفي الأصل «النضيري» وهو خطأ.

مُعْجَباً بذلك وذكروا لرسول الله أن عند صفوان بن أمية دروعاً وسلاحاً فطلبه النبي فأعطاه قيل مائة درع فقال صفوان: عارية يا رسول الله أم غَصْباً؟ قال: «بل عارية مضمونة» وأرجعها رسول الله بعد القتال، وبعث رسول الله جاسوساً إلى العدو ليسمع ما يقولون فوصل إليهم وجلس بينهم يومين يتجسس الأخبار فمما جاء به قال سمع مالك بن عوف يقول: إن محمداً لم يقاتل قوماً قط قبل هذه المرة وإنما كان يلقي أغماراً لا علم لهم بالحرب فإذا كان الفجر فصفُّوا مواشيكم وأبناؤكم تكون من ورائكم وكسِّروا أغماد السيوف واحملوا حملة رجل واحد فإن الغلبة لمن حَمَل أوّلاً، أما دريد بن الصمة: فقال يتفرق بعضهم في الشعاب ثم تقدموا للقتال، فلما حَمَل عليهم المسلمون انكشفوا فاشتغل المسلمون بالغنائم كوقعة أحد فلما اشتغلوا بالغنائم عاد عليهم العدو ورموهم بالسهام فانهزم المسلمون هزيمةً نكراء لم يلوِ أحد على أحد قط وهذا ذنب الإعجاب كما قال الله في سورة التوبة: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾[التوبة:٢٥] الآية.

ثبت رسول الله مكانه كما ثبت في وقعة أحد وكان ثباته سبباً في الانتصار وثبت معه علي والعباس وابنه الفضل وقليل من أهل الشجاعة والثبات ولما انهزموا قال للعباس: اصرخ فيهم وكان صيِّتاً فقيل كان يصرخ ويقول: ارجعوا أيها الناس هذا رسول الله يدعوكم فأقبلوا كأنهم الإبل تحن على أولادها فأمرهم النبي أن يحملوا حملةً على العدو فاقتتلوا قتالاً شديداً وأخذ رسول الله حفنة من تراب ورمى بها وجوه العدو

فانهزموا، وكان بعض المسلمين يريد قتل الذرية فنهاهم رسول الله وانهزم العدو هزيمةً منكرةً وقُتِل دُرَيْد بن الصِّمَّة وأسروا من الأعداء كثيراً ومن النساء ومن الإبل (٢٤٠٠) ومن الغنم أكثر من (٤٠,٠٠٠) ومن الفضة (٤٠٠٠) أوقية.

قسمة الغنائم

قسم رسولُ الله الغنائم وأعطى المؤلفةَ قلوبهم[1] من أهل مكةَ وغيرهم يعطي الواحد من الإبل مائة ومن الشاء أكثر ورد سبي هَوَازن كلها لما شفع عنده أبو برقان السعدي كان عم رسول الله من الرَّضاعة فلما رأت الأنصار ما فعل بالغنائم ولم يعطهم شيئاً تكلموا في ذلك فجاء سعد بن عبادة وأخبر النبي فقال:«فما أنت»؟ قال: من قومي، قال: «فاجمعهم لي» فجمعهم وخطب فيهم وأرضاهم إلى أن قال: «المال لعاعة» بمعنى شيء نافذ ويروح «أما ترضون أن يرجع الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله إلى رحالكم» قالوا: رضينا يا رسول الله فقال: «اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار» وبعد هذه الوقعة أسلم من بقي من أهل مكة وغيرهم وهذا كله من حسن تدبير رسول الله وحكمته. وقيل إنه وقف بالجعرانة يستقبل من أراد أن يسلم وأنه اعتمر من الجعرانة في ليلة الخميس ورجع إلى قومه في ليلته.

---

(١) أشراف القوم وسادتهم الحديثو عهد بالإسلام يتألفهم بالمال ليرغبهم في الإيمان. تمت.

غزوة الطائف

في شوال سنة ٨ من الهجرة وكان لثقيف حصن منيع ولما بلغتهم هزيمة أصحابهم دخلوا حصنهم وأعدوا لهم ما يصلحهم لسنة واستعدوا للقتال وكان فيهم عوف بن مالك النَّصْرِي الذي رأسوه أولًا فسار الرسول ونزل قريباً من الحصن فرموا المسلمين من الحصن رمياً شديداً بالنبال حتى أصيب كثير بالجراح وقُتِلَ اثنا عشر رجلاً فارتفع رسول الله إلى موضع المسجد الذي أسس من بعد وبقي الحصار ثمانية عشر يوماً ثم نادى الرسول من خرج من الحصن فهو حر فخرج ثمانية عشر رجلاً وأمر بقطع نخيلهم ثم سألوه أن يدعها فتركها ولم يؤذن لرسول الله بالبقاء بعد هذه المدة في فتح الطائف فنادى بالرحيل فضج المسلمون ثم أذعنوا بعد ذلك.

غزوة تبوك

في شهر رجب سنة ٩ للهجرة

تبوك موضع بين وادي القرى والشام بينه وبين المدينة أربع عشرة مرحلة وهي غزوة العُسرة التي ذكرها الله في أواخر سورة التوبة الآية (١١٧) بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ وهي آخر غزواته وكان وقت حر شديد وقحط شديد ولذا لم يورِّ عنها ليتخذوا ما يتقون به من الحر وأخبرهم أنه يريد الروم، وسببها أنه بلغه أن الروم قد جمعت جموعاً كثيرة وقد تقدمت جموعاتهم إلى (البلقاء) فندب أصحابه إلى الخروج وأعلمهم المكان الذي يريده ليتأهبوا وبعث إلى مكةَ وإلى قبائل العرب يستفزهم وأمر الناس بالصدقة فجاؤوا بصدقات كثيرة وجاء سبعة من الصحابة يبكون لعدم ما يحملهم وطلبوا من رسول الله أن يحملهم فقال: «إني لا أجد ما أحملكم عليه» وهم الذين قال الله فيهم: ﴿وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾[التوبة:٩٢] الآية. وهؤلاء ﴿مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾[الشورى:٤١] وهذا يدل على صدق الصحابة وإخلاصهم مع رسول الله، وكان عدد جيش المسلمين (٣٠,٠٠٠) وعدد الخيل (١٠٠٠) فقدم تبوك ومعه هذا الجيش فأقام بها عشرين ليلة يصلي قصراً ولم يلق العدو فرجع ولم يلق بها حرباً ولا كيداً وخلَّف رسول الله علياً عليه السلام على المدينة فتكلم الناس فشكا علي منهم فقال: «أما

ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» وهذا حديث متواتر عند آل محمد وغيرهم ويقال له حديث المنزلة لأنه أثبت له كل ما كان لهارون مع أخيه موسى عليهما السلام.

بعث رسول الله أبا بكر يحج بالناس في السنة التاسعة وسلَّم له سورة براءة يقرؤها على الناس فنزل جبريل عليه السلام وقال (يا محمد إنه لا يبلّغ إلا أنت أو رجل منك) فبعث علياً عليه السلام ليبلغ الناس ويقرأ عليهم سورة التوبة ويبلغهم أنه لا يحج بالبيت مشرك بعد هذا العام ولا يطوف بالبيت عريان ونبذ إليهم العهد وأنه لم يبق بين رسول الله وبين أحد عهد فقد ظهر الإسلام وصار قوياً والحمد لله.

وفاة إبراهيم ابن رسول الله أمه مارية القبطية

توفي في السنة العاشرة في شهر ربيع الأول وكان عمره ستة عشر شهراً دخل رسول الله البيت فإذا ابنه يجود بنفسه فبكى رسول الله فلما رأوه يبكي قالوا: يا رسول الله كيف تبكي وأنت تنهي عن البكاء، فقال: إنما هذه رحمة ولا يُرْحَم من لا يَرْحَم إنما نهيت عن النياحة وتوابعها وقال: يحزن القلب ولا نقول ما يُغضب الرب وأمر بدفنه في البقيع رحمه الله.

بعث رسول الله علياً عليه السلام إلى اليمن مرتين، الأولى سنة ثمان بعد فتح مكة، بعثه إلى همدان[1] وأسلمت همدان عن آخرها فلما بلغ

(١) قبيلة يمنية عريقة ينتهي نسبها إلى كهلان بن سبأ.

رسول الله ﷺ إسلامُهم سجد لله شكراً وقال: «السلام على همدان» وأما الثانية ففي شهر رمضان سنة ١٠ وبقي في اليمن إلى وقت الحج وتقدم للحج فلما وصل إلى رسول الله قال له: «بِمَا أهللت»؟ قال: بما أَهَلَّ به رسول الله، فأقره وقال: «قد سقت الهدي» وشرّكه في الهدي كما يأتي قريباً إن شاء الله تعالى.

حجة الوداع

حجة الوداع في أواخر السنة العاشرة حج رسول الله حجة الوداع سميت بذلك لأنه وَدَّع الناس فيها وأرَى الناس مناسكهم وأعلمهم سُنَنَ حجهم وخطب في الناس خُطبة الوداع التي بيَّنَ فيها كثيراً من الأحكام الشرعية حمد الله ثم أثنى عليه فقال: «ياأيها الناس اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً، أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا وكحرمة شهركم هذا وأنكم ستَلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلّغت فمن كان عنده أمانة فليؤدهَا إلى من ائتمنه عليها وإن كلَّ رباً موضوع ولكن لكم أموالكم لا تظلِمون ولا تُظْلَمون قضى الله أنه لا ربا وأن ربا العباس بن عبدِ المطلب موضوع كلّه وأن كل دماء الجاهلية موضوعة وإن أول دم أضعه دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب إلى قوله: أيها الناس إن الشيطان قد أيس أن يُعْبَد بأرضكم هذه أبداً ولكنه إن يُطَع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم، أيها الناس إن لكم على نسائكم حقاً وإن لهن عليكم حقاً فاستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عَوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً وإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهنّ بكلمات الله فاعقلوا قولي أيها الناس واسمعوا قولي واعقلوه وإن

المسلمين إخوة فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما طابت به نفسُه فلا تظلموا أنفسكم، ثم قال: اللّهم هل بلغت؟ قالوا: اللهم نعم، قال: اللهم اشهد». انتهى باختصار.

هذه الخُطبة خطبها بعرفة وقت الوقوف ولم يحج بعد الهجرة إلا هذه الحجة، وأما قبل الهجرة فقيل لم يتركها سنة واحدة، وخرج رسول الله من المدينة يوم السبت (٢٥) ذي القعدة ودخل مكة يوم الثلاثاء في اليوم العاشر أي خامس الحجة وخرج معه (٩٠,٠٠٠) ويقال أكثر من غير أهل مكة والذين أتوا من اليمن، وساق معه مائة بدنة وقام بالحج مع تعليم الناس ثم مشى إلى مزدلفة وبات بها ووقف بالمنحر حتى أسفر كثيراً[1] ثم سار إلى منى ورجم الجمرة ثم توجه إلى المنحر فنحر البُدْنَ نحو ثلاث وستين بدنة ثم نحر الباقي علي بن أبي طالب عليه السلام لأنه أحرم بما أحرم به رسول الله عند قدومه من اليمن ثم حلق ونزل إلى البيت وطاف طواف الزيارة وعلَّمهم جميعَ المناسك وقال: خذوا عني مناسككم ثم عاد رسول الله إلى منى وبقي إلى اليوم الرابع وعاد إلى المدينة ولما بلغ في رجوعه إلى خمٍ وهو موضع فيه ماءٌ وكان ذلك المحل موضع حار فجمع الناس وقت الظهيرة قبل أن يتفرقوا إلى مواطنهم من ذلك الموضع فنادى في الناس وأخذ بضبع علي ورفعه حتى بدت إبطه وقال: «ياأيها الناس من كنت مولاه أولى به من نفسه فهذا علي أولى بكم

(١) أي الفجر. تمت.

من أنفسكم اللهم من كنتُ مولاه فهذا عليٌّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاده وانصر من نصره واخذل من خذله» فقام الناس منهم أبو بكر وعمر يهنئونه بالولاية وقالوا له: بَخٍ بَخٍ لك يابن أبي طالب أصبحت مولانا ومولى كل مسلم ومسلمة، وهذا حديث الغدير المشهور الذي روته الأمة بمختلف الألفاظ وقد أجمع على صحته كثير من علماء الإسلام والله الموفق.

وفي شهر صفر ضرب على الناس بعثاً إلى الشام وأمَّر عليهم أسامة بن زيد وأمره أن يوطِئَ الخيل تخوم (البلقاء) فبينما الناس على ذلك ابتدأ شكواه الذي توفي فيه واعترض المنافقون تولية أسامة لصغر سِنّه فقال: «والله إنه لخليق بذلك»، فخرج أسامة من المدينة بمن معه وحث الناس على اللحاق به فامتنع بعضهم وبعضهم رجع من الطريق لمرضٍ في القلوب وكان يقول «لا يتخلف عن جيش أسامة إلا عاص لله ولرسوله» أو كما قال بهذا أو معناه.

عدد الغزوات والبعوثات

كان جميع ما غزا فيها رسول الله ﷺ (٢٧) غزوة، وبعوثاته وسراياه (٣٨) وكثرت الوفود إليه بعد فتح مكة إلى الجعرّانة وإلى المدينة وذلك في أواخر سنة ثمان، وفي سنة وكثر الإسلام في جزيرة العرب ولم يبق إلا القليل وفي تعداد الوفود طول تركنا ذلك اختصاراً.

وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وذلك يوم الإثنين ١٢ ربيع الأول في سنة ١١ من الهجرة صلوات الله عليك يا رسول الله وعلى الطاهرين من أهلك التي عظمت مصيبته على الإسلام والمسلمين والقائل «من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بي فإنكم لن تصابوا بمثلي» وكيف لا تكون هذه مصيبة عامة بل ذلك إلى يوم القيامة لأنه الذي أسس الشرائع وأنقذ الخَلق من الجهالة ومن الغواية والضلالة وكان رحمةً للعالمين ونوره ساطع في أنحاء المعمورة وبموته انقطعت أخبار السماء وانقطع الوحي وأظلمت الأرض بفقد نوره العظيم وكانت مدة مرضه قيل سبع وقيل ثلاث عشرة ليلة وخرَج في مرضه وهو معصوب الرأس من الألم وجلس في أسفل مرقاة من المنبر ثم خُطب خطبة بليغة فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: «أيها الناس بلغني أنكم تخافون من موت نبيكم وهل خلد نبي قبلي فيمن بعث الله

فأُخَلِّدُ فيكم إلّا أني لاحق بربي وأنكم لاحقون بي فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً ولا يحملنّكم استبطاء أمر على استعجاله فإن الله لا يعجل بعجلة أحد ومَن غَالَبَ الله غَلَبَه ومن خَادَعَ الله خَدَعَه ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾[محمد:٢٢] وأوصيكم بالأنصار فإنهم الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلكم أن تحسنوا إليهم ألَم يشاطروكم في الأموال والثمار؟ ألم يُوسِعوا لكم في الديار؟ ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم خصاصة؟ ألا وإني فَرَط لكم وأنتم لاحقون بي ألا وإن موعدكم الحوض ألا فمن أحب أن يرده عليّ غداً فليكفف يده ولسانه » اهـ.

وهذه آخر خُطبة خطبها فلم يصعد المنبر بعد ذلك اليوم وقد أوصى المسلمين بالمحبة والاتحاد والأخوة بين المهاجرين والأنصار وغيرهم ونهاهم عن التقاطع والاختلاف وهو في شدة المرض حرصاً منه على الإصلاح فمن الحق أن نذرف الدمع عليه باستمرار (نذرف الدمع عليه لو عرفنا وعقلنا)، وقد ارتج المسلمون لمرضه ثم لموته كثر البكاء والنحيب وبعضهم فَقَدَ شعورَه وفُقِدت العقول وتغيرت الحواس وهو حقيق[1] بذلك كيف وهو الرحمة العظيمة التي مَنَّ الله بها على خلقه فصلوات الله عليه حين خُلِقَ وحين بُعِثَ وحين تُوفي وعلى آله تدوم من يومنا إلى يوم الدين ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وتوفي وهو في

(١) أي جدير وأهل لذلك ﷺ. تمت.

ثلاث وستين سنة على القول الصحيح ورثاه حسان وغيره بأشعار كثيرة ونشير إلى صفاته وشمائله باختصار إن شاء الله تعالى.

صفته

كان أبيض مشرباً بحمرة، واسع الجبين، عظيم الرأس من غير إفراط، حسن الجسم، عظيم الجبهة، دقيق الحاجبين مقرونهما كانت الفرقة التي بين الحاجبين يسيرة لا تبين إلا لمن دقق في النظر، أهدب الأشفار، أقنى الأنف، واضح الخدين[1] ليس فيهما نتوء ولا ارتفاع، كث اللحية، ضخم الكراديس[2]، غليظ الكتفين، شثن الكفين والقدمين[3]، لم يكن بالطويل ولا بالقصير وهو إلى الطول أقرب، إذا التفت التفت جميعاً، نقي الثوب، لين الكلام، حسن الصوت، قويّهُ لا يقول هجراً ولا ينطق هذراً، يخاطب الإنسان على قَدْر عقله، يكلم كل قبيلة بما تعرفه، واسع الإطلاع بلغة العرب وغيرها، إذا ضحك تبسم، يقابل السيئةَ بالحسنة، يصل من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عمن ظَلَمَه، ولا يتكلم في غير حاجة، يتفقد أصحابه ويسأل عنهم، فمن كان غائباً دعا له ومن كان شاهداً زاره ومن كان مريضاً عاده، عنده الناس في الحق سواء، مجلسه مجلس حلم وحياء لا تُرْفَع فيه الأصوات، قال ﷺ: «بُعِثت لأتمم مكارمَ

---

(١) بمعنى أسيل الخدين. تمت.

(٢) العظام العظيمة. تمت.

(٣) أي عظيم الكفين والقدمين مع كثرة لحمهما.

الأخلاق» وكان أشدُّ الناس خشيةً من الله وخوفاً منه، وقد وصفه الله بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم:٤].

ووصفه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو العارف به حقيقة قال زيد بن علي عليه السلام كان علي عليه السلام في مسجد الكوفة وأقرب الناس إليه الصحابة والتابعون إذ قال له رجل من أصحابه: يا أمير المؤمنين صف لنا رسول الله كأننا ننظر إليه فإنك أحفظ لذلك منا، قال فضرب رأسه ورق لذكر رسول الله واغرورقت عيناه قال ثم رفع رأسه ثم قال: (نعم كان رسولُ الله أبيضَ اللون مشرباً بحمرة، أدعج العينين، سبط الشعر، دقيق العِرنين، أسيل الخدين، دقيق المسربة، كث اللحية كان شعر رأسه مع شحمة أذنيه إذا طال كأنما عنقه إبريق فضة، له شعر من لبته إلى سرته يجري كالقضيب لم يكن في صدره ولا في بطنه شعر غيره إلا نبذات في صدره، شثن الكف والقدم إذا مشى كأنما يتقلع من صخر وينحدر في صَبَب إذا التفت التفت جميعاً لم يكن بالطويل ولا العاجز اللئيم، كأنما عَرَقه اللؤلؤ ريحُ عَرَقه أطيبُ من المسك، لم أر قبله ولا بعده مثله) وهذا وصف عظيم قد أحاط بالوصف الكامل، إن من يطالع سيرة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بإمعان ويفكر في أخلاقه وفي تلك الشخصية العظيمة ويتصور كيف كان متصفاً بجميع الأخلاق السامية فإنه يتحقق أنه سيد الخَلْق أجمعين حقيقة وإن الخلوَّ من جميع المعائب واجتماع الفضائل في شخص واحد من

المستحيلات إلا من اصطفاه الله كمثل هذا الشخص الكريم والنبي العظيم ولذا قال الشاعر[1]:

ومن ذا الذي تُرْضَى سجاياه كلُّها
كفى المرءَ نُبلاً أن تُعَدَّ معايبُهْ

وقد سأل رجلٌ شاعر عن رجل خال من كل عيب لأنه لم يجد إنساناً كاملاً خالٍ من كل عيب فسمع هاتفاً يقول:

من ذا الذي ما ساءَ قَطُّ
ومن له الحسنى فَقَطْ
محمد الهادي الذي
عليه جبريل هَبَطْ

وقال حسان بن ثابت يصف رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

خُلِقت مُبرأً من كل عيبٍ
كأنك قد خُلِقتَ كما تشاءُ

فالذي خُلق مبرأ من كل عيب هو رسول الله اجتمعت الفضائل في رسول الله وتنزه عن المعائب كلِّها لأن الله اصطفاه من بين خلقه لتبليغ رسالته وطهره من الأرجاس وحفظه من كل سوء وجعله خاتم النبيين

(١) وهو بشار بن برد وقبله:

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

وكان على الأخلاق والشمائل الحسنة التي يرتضيها الله له وليكون أسوة يقتدي به وقال: «أدّبني ربي فأحسن تأديبي» كان بالغ الحلم والعفو وأكرم الناس وأسخاهم وأشجعهم وأتقاهم وصفاته لا يمكن حصرها وهو الموصوف في القرآن بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم:٤] ولا يعظم الله إلا عظيم فصلوات الله عليه وآله وقد اختصرنا هذه السيرة لما ذكرناه في المقدمة وتبركاً بذكره صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وقد ترجح أن نذكر خاتمة مختصرة في الجهاد وفضله.

خاتمة في فضل الجهاد

إن الجهاد من أفضل الوسائل الدينية التي أتى بها نبي الإسلام وأقيمت بها الشرائع والأحكام، وهو فريضة من الفرائض المؤكدة ولذا ورد فيه الترغيب والترهيب والحث في آيات كثيرة قال تعالى في الترغيب: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[آل عمران:١٦٩] ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾[التوبة:١١١]الآية وقال تعالى: ﴿لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ...﴾إلى قوله تعالى: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء:٩٥]. ووعد النصر للمجاهدين قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾[محمد:٧] الآية. وفي الترهيب قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾[آل عمران:١٤٢] وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيب﴾[البقرة:٢١٤]وابتلى الله به خاصته وأولياءه قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾[محمد:٣١] وغير ذلك من الآيات الكثيرة نتركها اختصاراً والقرآن بين أيدينا لم يترك لنا أي مجال في تركه أما من السنة فكثير وكثير

يكفي في الترغيب فيه ما رواه الإمام زيد بن علي عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله «أفضل الأعمال بعد الصلاة المفروضة والزكاة الواجبة وحجة الإسلام وصوم شهر رمضان الجهاد في سبيل الله والدعاء إلى دين الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» إلى آخر الحديث، وعنه قال قال رسول الله: «غزوة في سبيل الله أفضل من خمسين حجة» الحديث، وعنه عن علي عليه السلام قال: «من اغبرت قدماه سبيل الله حرم الله وجهه على النار» الحديث، وللشهيد فضل عظيم عن علي عليه السلام: (للشهيد سبع درجات فأولها يرى منزلته من الجنة قبل خروج روحه، والثانية تبرز له زوجة من الحور العين فتقول له: أبشر يا ولي الله فوالله ما عند الله خير لك مما عند أهلك، والثالثة إذا خرجت نفسه جاء خَدَمُه من الجنة فتولوا غسله وكفنوه وطيبوه من الجنة، والرابعة أنه لا يهون على مسلم خروج نَفْسِه مثل ما يهون على الشهيد، والخامسة أن يبعث يوم القيامة وجروحه تنبعث مسكاً فيعرف الشهداء برائحتهم يوم القيامة، والسادسة أن ليس من أحد أقرب منه منزلاً من رحمة الله، والسابعة لهم في الجنة زوّار يوم الجمعة من الملائكة يحيونهم بتحية الكرامة) الحديث، ونكتفي بما ذكرناه في فضله وعلو منزلته وفي تحتمه ووجوده وأول درجاته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو من واجبات الدين وفرائض الله رب العالمين قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في آخر حديث له: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة تقام بها الفرائض وتحل بها المكاسب ويتصف بها المظلوم من الظالم فأنكروا

المنكر بألستكم وصكوا بها وجوههم ولا تأخذكم في الله لومة لائم... إلخ. وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[آل عمران:١٠٤] الآية، وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[التوبة:٧١] الآية، وقال تعالى في وصف لقمان ومقرر له على الجميع: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾[لقمان:١٧] وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لتأمرُنَّ بالمعروف ولتنهوُنَّ عن المنكر أو ليسلطَنَّ الله عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لكم»، وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي لا يتسع لبعضها هذه الوريقات تركناها اختصاراً.

إنا إذا نظرنا التاريخ وتأملناه نجد أن الإسلام لم تقم شعائره وأركانه إلا بالجهاد وأن الدين الإسلامي هو الذي كلف الله به البشرية وهي بطبيعتها لا ترغب في يالتكاليف التي تمنعها أهواءها وشهواتها ونزواتها وحريتها لذلك فرض الله الجهاد ليحمل الإنسان على الخضوع لله حتى تكون شريعة الله هي القاهرة وسلطانها في العالم هو الغالب ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾[البقرة:١٩٣] وقال تعالى: ﴿وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾[التوبة:١٢٣] إن الكافر يعطل جوانب إنسانيته ويسخر بنعمة الله وربوبيته ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[الأنفال:٥٥]، ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ

﴿يَعْقِلُونَ﴾[الأنفال:٢٢] ، إن التكاليف الشرعية في الواقع هي تشريف للمكلفين ورفع لمستواهم والسير في نهج النور وأول التزكية الإنسانية هو حبس جموحها.

نعم إن النفس أمارة بالسوء كما ذكرها الله فالنفس قد تتسلط عليها الغرائز الهوائية وغير الحسنة فإذا جاهد الإنسان نفسه حتى تتهذب بالدين وبالتعاليم المثالية وجد الضمير مع ذلك هو الشعور النفسي الحي الذي يقف من المرء موقف الرقيب يدعو إلى الخير وينهى عن الشر ويحاسب نفسه بعد العمل مستريحاً بالإحسان ومستنكراً للإساءة وذلك هو حقيقة الإيمان ولذا قيل «المؤمن من سَرَّته حسنته وساءته سيئته» فإذا واصل الإنسان جهاد نفسه حتى تخلص من الهوى وقمعها وكبحها وسمت نفسه إلى الخير والجمال وإلى الحق والكمال وترّفع عن النقائص بلغ المنزلة الرفيعة والحالة الرشيدة التي يريدها الله من الإنسان في هذه الحياة ليكون أهلاً لجواره في الآخرة قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾[الحجرات:٧] ، وما لم يصل الإنسان إلى مستوى يحسن منه ويمدح عليه يكون قد عرض نفسه لخسارة لا يمكن أن يتداركها وفاتته نِعَمٌ لا يقدر على تلافيها هي خسارة الدين والإفلاس الحقيقي الذي ليس فوقه إفلاس لا قوة إلا بالله إن الله سبحانه وتعالى جعل فرقاً مبيناً وسوراً حصيناً بين أوليائه وأعدائه وقضت حكمته كما يؤيد ذلك العقل الفطري أنه لا تناسب بين الجنسين وإن لكل منهما أهداف متشابهات في الأغراض ومختلفات في الأسباب هذا له أنوار وهدايات وهذا له ظلمات

وجهالات ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[الملك:٢٢]، ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾[السجدة:١٨]، لهذا الأمر العظيم أمر الله بالموالاة لأوليائه والمعاداة لأعدائه وكم من آيات زاجرة وأحاديث شاهدة في الوعيد لمن والى أعداء الله أو عادى أولياء الله قال «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله» وأوجب الله جهاد الكافرين وتجب المعاونة على ذلك والتناصر والتآزر والتماسك لأنه لا يتم الجهاد إلا بذلك ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[آل عمران:١٠٣] وإصلاح النفس هو المقدم «ابدأ بنفسك» الحديث ولله در القائل[1]:

لا تنه عن خُلُق وتأتيَ مثلَه

عار عليك إذا فعلتَ عظيمُ

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها

فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

الأبيات المعروفة هذا وهذا الباب له غصون وأطراف وترهيب وترغيب لا يمكن حصرها ولا يدخل تحت المقدور وعدها وإذا نظرنا ما نحن فيه من ترك الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لامتلأ القلب حسرات ونخاف من نزول العقوبات من جبار السماوات نسأل الله سبحانه أن يعجل بالفرج التام على عباده وبلاده وانتظار الفرج عبادة،

(١) وهو أبو الأسود الدؤلي. تمت.

هذا ولا يمكن شرح ما في النفس إلا في أوراق كثيرة ومؤلفات كبيرة وطويلة وميلنا إلى الاختصار وتكفي الإشارة للحاذق اللبيب والعاقل الأديب، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[العنكبوت:٦٩] وبهذه نأتي على التمام والحمد لله على فواضل الإنعام شاكراً لله تعالى على ما منَّ علينا من النعم التي لا تحصى وعلى ما يمدنا به من الإيمان والإحسان فلله الحمد كثيراً بكرةً وأصيلاً، وسبحان الله وبحمده سائلاً الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأصلي وأسلم على سيد المرسلين وآله الطاهرين من يومنا هذا إلى يوم الدين ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[1].

(١) إلى هنا تم الكتاب الطبعة الأولى.

خاتمة

مفيدة ملمة بالمقصود

بسم الله الرحمن الرحيم

بعثه الله على فترة من الرسل رحمة للعالمين فبلغ الرسالة، ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاد، وعبد ربَّه حتى أتاه اليقين، فهو أفضل الخلق وأشرف الرسل، نبي الرحمة وإمام المتقين، وحامل لواء الحمْد، وصاحب الشفاعة، والمقام المحمود، والحوض المورود.

آدم فمن دونه يوم القيامة تحت لوائه فهو خير الأنبياء وأمته خير الأمم وملّته أشرف الملل، له المعجزات الباهرة، والخُلُق العظيم والعقل الكامل الجسيم، والنسب الأشرف والجمال المطلق، والكرم الأوفر والخوف الأكمل، والتقوى الباهرة فهو أفصح الخلق وأكملهم في كل صفات الكمال وأبعد الخَلْق عن الدنيات والنقائص وفيه يقول الشاعر:

لم يخلق الرحمن مثل محمد

أبداً وعندي أنه لا يخلق

وقال آخر:

لو لم يكن فيه آيات مبينة

لكان منظره يغنيك بالخبر

كان يفلي ثوبه ويرقعه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويقُمُّ البيتُ أي يكنسه ويعقل البعير، ويأكل مع الخادم، ويحمل بضاعته من السوق، متواصل الأحزان، دائم الفكر ليست له راحة، قال علي كرم الله وجهه سألت رسول الله ﷺ عن سنته فقال: «المعرفة رأس مالي، والحب أساسي، والشوق مركبي، وذكر الله أنيسي، والحزن رفيقي، والعلم سلاحي، والصبر ردائي، والرضا غنيمتي، والفقر فخري، والزهد حرفتي، واليقين قوتي، والصدق شفيعي، والطاعة حسبي، والجهاد خلقي، وقرة عيني في الصلاة» وأما حلمه وبره وعدله ووقاره وصبره وهيبته وخصاله الحميدة فكثيرة جداً، وقد ألف العلماء الكتب الكثيرة في معجزاته وسيرته وغزواته وشمائله ومحاسنه كتب جما.

وهذه نبذة من سيرته ﷺ مختصرة ومجملة وتعدد الحوادث بالتاريخ.

ولد ﷺ عام الفيل وأقام في بني سعد خمس سنين ثم توفت أمه وهو ابن ست سنين، وكفله جده عبد المطلب ثم توفى وهو ابن ثمان سنين، وكفله عمه أبو طالب، وخرج معه إلى الشام وهو ابن اثنتي عشرة سنة، ثم خرج ﷺ في تجارة لخديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة، وتزوجها في تلك السنة، وبنت قريش الكعبة ورضيت بحكمه فيها وهو ابن خمس وثلاثين سنة، وبعث ﷺ وهو ابن أربعين سنة، وتوفي أبو طالب وهو ابن تسع وأربعين سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوماً، وتوفيت خديجة رضي الله عنها بعد موت أبي طالب بثلاثة أيام رضي الله عنها ثم

خرج ﷺ إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة رضي الله عنه بعد ثلاثة أشهر من موت خديجة رضي الله عنها فأقام به شهراً ثم رجع إلى مكة في جوار المُطْعِم بن عدي، فلما أتت له خمسون سنة قدم عليه جن نصيبين فأسلموا، فلما أتت له إحدى وخمسون سنة وتسعة أشهر أسري به ﷺ وهاجر إلى المدينة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة وهي السنة الثالثة عشرة من بعثته ﷺ وقيل هاجر في الرابعة عشرة من بعثته ﷺ ومعه أبو بكر ومولاه عامر بن فهيرة ودليلهم عبد الله بن أريقط؛ وهذه السنة عليها مبنى التاريخ الإسلامي وهي السنة الأولى وفيها آخى الرسول ﷺ بين الصحابة واتخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه أخاً، وفيها أتمت صلاة الحضر وأقرت صلاة السفر، وفيها تزوج علي فاطمة رضي الله عنها، وفي سنة اثنتين كانت غزوة ودّان وهو اسم مكان، وغزوة بُواط وهي من ناحية رضوى[1]، وغزوة العشيرة، وغزوة بدر الأولى وهي التي يقال فيه بدر الصغرى وكانت في جمادى الآخرة، وغزوة بدر الكبرى وهي التي قُتِل فيها صناديد قريش وأعز الله بها الدين وكانت يوم الجمعة ثالث عشر من رمضان، وقيل سابع عشر، وغزوة بني تميم وكانت في ذي الحجة خرج ﷺ يريد أبا سفيان فلم يلقه، وفي سنة ثلاث كانت غزوة بني غطفان، وغزوة نجران، وغزوة بني قينقاع، وغزوة أحد، وغزوة حمراء

(١) ما بين المعكوفين صوابه: وفي سنة ثمان كان فتح مكة وغزوة حنين وغزوة الطائف وقسمة أموال تبوك وفي سنة عشر حجة الوداع.

الأسد، وفي سنة أربع كانت غزوة بني النضير، وغزوة ذات الرقاع، وفي سنة خمس كانت غزوة دُومة الجندل، وغزوة الخندق، وغزوة بني قريظة، وفي سنة ست كانت غزوة بني لحيان، وغزوة بني المصطلق، وفي سنة سبع اتخذ النبي ﷺ [المنبر]، وغزا غزوة خيبر وفيها كانت قصة فدك وهي مشهورة، وكانت فَدَك لرسول الله خاصة، [وفي سنة ثمان كانت غزوة تبوك، وفي سنة عشر كانت غزوة حنين، وغزوة الطائف، وقسمة أموال هوازن، وفي السنة المذكورة كانت حجة الوداع]، ونحر بيده الشريفة ثلاث وستين بَدَنَة، وأعتق ثلاثاً وستين رقبة، وهي عدد سني عمره ﷺ، وفي سنة إحدى عشرة كانت وفاته ﷺ، وكان ابتداء الوجع في مستهل شهر ربيع الأول، وتوفي في الثانية عشرة منه، وعاش ﷺ ثلاثاً وستين سنة، وكانت مدة بقائه في المدينة عشر سنين، وكان أولاده كلهم من خديجة رضي الله عنها إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية، وأولاده الطيب، والطاهر، والقاسم، وفاطمة، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وإبراهيم، سلام الله ورضوانه عليهم جميعاً، فأما الذكور فماتوا كلُّهم أطفالاً ولم يتزوج ﷺ في حياة خديجة غيرها، فلما ماتت تزوج سودة بنت زمعة، وعائشة ولم يتزوج ﷺ بكراً غيرها وماتت في أيام معاوية سنة ٥٨هـ، عن سبع وستين سنة، وتزوج ﷺ حفصة بنت عمر بن الخطاب سنة ثلاث، وتوفيت في أيام عثمان، وتزوج ﷺ زينب بنت خزيمة، وتوفيت في حياته ﷺ، ولم يمت عنده من النساء غيرها وغير

خديجة رضي الله تعالى عنهن؛ وتزوج ﷺ أم سلمة[1] رضي الله عنها سنة أربع، وأمها عاتكة عمة رسول الله ﷺ، وتوفيت سنة تسع وخمسين للهجرة أيام معاوية، وقيل توفيت سنة إحدى وستين يوم عاشوراء وهو اليوم الذي قُتِل فيه الحسين بن علي صلوات الله عليه، وتزوج ﷺ زينب[2] بنت جحش سنة خمس وتوفيت في سنة عشرين أيام عمر وهي أولى أزواجه ﷺ لحوقاً به، وتزوج أم حبيبة واسمها رملة بنت أبي سفيان وتوفيت سنة أربعة وأربعين في أيام أخيها معاوية، وتزوج ﷺ جويرية بنت الحارث المصطلقية، وتوفيت سنة ست وخمسين في أيام معاوية، وتزوج ميمونة بنت الحارث في سنة سبع، وتوفيت سنة أربعين.

ومات صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله عن تسع نساء.

نعم اختلف الناس في تاريخ الإسراء فقال ابن الأثير الصحيح أنه كان ليلة الاثنين لسبع وعشرين من شهر ربيع الأول قبل الهجرة بسنة، وبهذا جزم به محيي الدين النووي في شرح مسلم، وجزم به في فتاويه في كتاب الصلاة؛ إلا أنه قال كان في شهر ربيع الآخر، وفي سير الروضة أنه كان في رجب وإنما كان ليلاً لتظهر الخصوصية بين جليس الملك نهاراً وجليسه ليلاً.

---

(١) اسمها هند بنت أبي أمية المخزومي. تمت.

(٢) وهي ابنة عمته أميمة بنت عبد المطلب.

بعض معجزاته صلى الله عليه وآله وسلم

إن من شاهد أخلاقه وأحواله وأفعاله وآدابه لم يبق عنده ريب أن ذلك مستمد من تأييد إلهي سماوي، وأن ذلك لا يصح لملبّس أو ساحر أو نحو ذلك، وقد أيده الله مع ذلك بمعجزات تشهد له بصدقه وأنه رسول الله، فأعظم معجزاته القرآن الكريم الذي أعجز الخلائق بما فيهم من الفصحاء والبلغاء على أن يأتوا بمثله، ومن معجزاته انشقاق القمر المروي في كثير من كتب أئمتنا عليهم السلام وقد رواه البخاري ومسلم، ونبع الماء من بين أصابعه كذلك أخرجه أئمتنا والبخاري ومسلم، وإطعامه الخلق الكثير من الطعام اليسير أخرجه أئمتنا والبخاري ومسلم، ورمية بحصاة يسيرة يوم بدر فوصلت في أعين الأعداء كلهم أخرجه أئمتنا ومسلم وابن حبان والحاكم في المستدرك، وحنين الجذع أخرجه أئمتنا والبخاري، وإخباره بالمغيبات فكانت كما أخبر، ورد عين قتادة يوم أحد بيده الشريفة فكانت أحسن عينيه، وتفل في عين علي عليه السلام يوم خيبر وهو أرمد فصح من وقته، وغير ذلك من المعجزات، ولم يوجد سبيل إلى كتمانها أو إنكارها نسأل الله الكريم أن يوفقنا للإقتداء بأخلاقه، ولقد كان ﷺ أحلم الناس، وأسخى الناس، وأعطف الناس يخصف النعل، ويرقع الثوب، ويخدم في مهنة أهله، يجيب دعوة

المملوك، ويعود المرضى، ويقبل الهدية، ويكافي عليها، وقد أشرنا آنفاً إلى بعض أخلاقه الكريمة صلوات الله عليه وعلى آله وسلم، وإنما المقصود أن يأخذ المطلع ببعض من ذلك، ولا شك أن آداب الظواهر عنوان آداب البواطن، وحركات الجوارح ثمرات الخواطر، والأعمال نتائج الأخلاق، وسرائر القلوب هي مغارس الأفعال ومنابعها، وأنوار السرائر هي التي تشرف على الظواهر فتزينها وتحليها، ومن لم يخشع قلبه لم تخشع جوارحه، ومن لم يكن صدره مشكاة الأنوار الإلهية لم يفض على ظاهره جمال الآداب النبوية، ولا شك أنه لا يبلغ أحد سيرة رسول الله ﷺ وأخلاقه، وإنما أشرنا إلى بعض أخلاقه لنؤكد إيماننا بما ذكرنا من أخلاقه الكريمة التي تشهد آحادها بأنه أكرم الخلق، وأعلاهم مرتبة، وأكرمهم، وأجلهم قدراً، نسأل الله الكريم أن يرزقنا محبته كما يريده الله منا فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وسلم. انتهى.

ولقد نصحتُ لمن أحب هداية
لا أرتجي إلا جزاء الواحد الديانِ
خذها وكن متأملاً عزل الهوى
وانصف وتابع صفوة الرحمن
جمعت فأوْعَت في العلوم كما ترى
وانظر بجد صادق بيانِ

ثـــم الـــصلاة علـــى الـــنبي محمـــد

والآل أهـــل الفـــضل والرضـــوان

وصلى الله على محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً، آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. تمت وبالخير عمت إن شاء الله.

كان الفراغ من زبرها

يوم الجمعة ٢٦ شهر محرم سنة ١٤١٨هـ

كتبه الفقير إلى عفو الله الكريم

صلاح بن أحمد عبد الله فليتة

غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين ... آمين.

محتويات الكتاب

تقريض ٤
مقدمة ٥
الفصل الأول نسبه صلى الله عليه وآله وسلم ٩
كراماته: ١٠
رضاعه صلى الله عليه وآله وسلم ١٣
شق الصدر ١٤
وفاة آمنة بنت وهب أم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ١٥
وفاة عبد المطلب ١٦
سفره إلى الشام ١٧
زواجه بخديجة ١٨
وضع الحَجَر ١٩
مبعثه صلى الله عليه وآله وسلم ٢٠
فترة الوحي ٢٢
الفصل الثاني في دعوته سراً ٢٣
إيذاء المشركين للمسلمين ٢٦
تعذيب المسلمين ٢٨
الهجرة إلى الحبشة ٢٩
إسلام حمزة بن عبد المطلب عليه السلام ٣١
قضية الصحيفة ٣٢
وفاة أبي طالب رحمه الله ٣٤
وفاة خديجة رضي الله عنها ٣٦
سفره إلى الطائف ٣٧
الإسراء والمعراج ٣٩

بيعة العقبة الأولى في السنة الثانية عشرة ٤١
بيعة العقبة الثانية ٤٢
الفصل الثالث في الهجرة وما يتبعها ٤٥
وصوله المدينة صلى الله عليه وآله وسلم ٥٠
ما نزل من القرآن في الهجرة ٥٢
مسجد رسول الله ٥٤
صرف القبلة إلى الكعبة ٥٥
فريضة الصيام ٥٦
فرض الزكاة ٥٧
المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ٥٨
أهل الصفة ٥٩
الفصل الرابع في الجهاد ٦١
بعث حمزة بن عبد المطلب ٦٢
سرية عبيدة بن الحارث ٦٣
سرية سعد بن أبي وقاص ٦٤
غزوة وَدَّان ٦٥
غزوة بُواط ٦٧
غزوة بدر الأولى وهي الصُغرى ٦٨
غزوة العُشَيرة ٦٩
غزوة بدر الكبرى ٧٠
إلقاء القتلى في القليب ٧٦
رجوع النَّبيِّ إلى المدينة: ٧٧
زواج فاطمة من علي عليها السلام ٧٨
غزوة بني سُلَيم ٧٩
غزوة بني قَيْنُقاع ٨٠

قَتْلُ كعب بن الأشرف ٨١
غزوة أحد ٨٢
المنهزمون من المسلمين ٨٦
شجاعة المرأة ٨٨
من معجزاته ٨٨
قتل حمزة رحمه الله ٨٩
نزول الملائكة يوم أحد ٩٠
غزوة حمراء الأسد ٩١
بعث الرجيع ٩٢
الغدر ٩٢
غزوة بني النضير في شهر ربيع الأول ٩٤
تحريم الخمر ٩٦
غزوة ذات الرقاع ٩٧
غزوة بدر الآخرة ٩٨
غزوة بني المُصْطَلِق ٩٩
آية التيمم ١٠٠
حديث الإفك ١٠٠
غزوة الخندق ١٠١
حفر الخندق ١٠١
اعتراض صخرة بيضاء في الخندق ومعجزة الرسول ١٠١
عدد الجيشين ١٠٢
نقض العهد ١٠٢
الحرب خدعة ١٠٥
وفاة سعد بن معاذ رحمه الله ١٠٧
أمر الحديبية في ذي القعدة سنة ٦ من الهجرة ١٠٨

عمرة القضاء ١٠٩
غزوة خيبر ١١٠
صلح أهل فدك ١١٢
سرية مؤتة ١١٤
فتح مكة في شهر رمضان ١١٧
استعداد رسول الله للزحف إلى مكة ١١٨
كتاب حاطب إلى مكة ١١٨
خطبة رسول الله ١٢١
أذان بلال على ظهر الكعبة ١٢١
غزوة حنين ١٢٣
قسمة الغنائم ١٢٥
غزوة الطائف ١٢٦
غزوة تبوك ١٢٧
وفاة إبراهيم ابن رسول الله أمه مارية القبطية ١٢٨
حجة الوداع ١٣٠
عدد الغزوات والبعوثات ١٣٣
وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ١٣٣
صفته ١٣٥
خاتمة في فضل الجهاد ١٣٩
خاتمة مفيدة ملمة بالمقصود ١٤٥
بعض معجزاته صلى الله عليه وآله وسلم ١٥٠